ملحق اسبوعي 16 صفحة رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير فخري كريم
العدد (3097) السنة الحادية عشرة الاثنين (9) حزيران 2014
www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

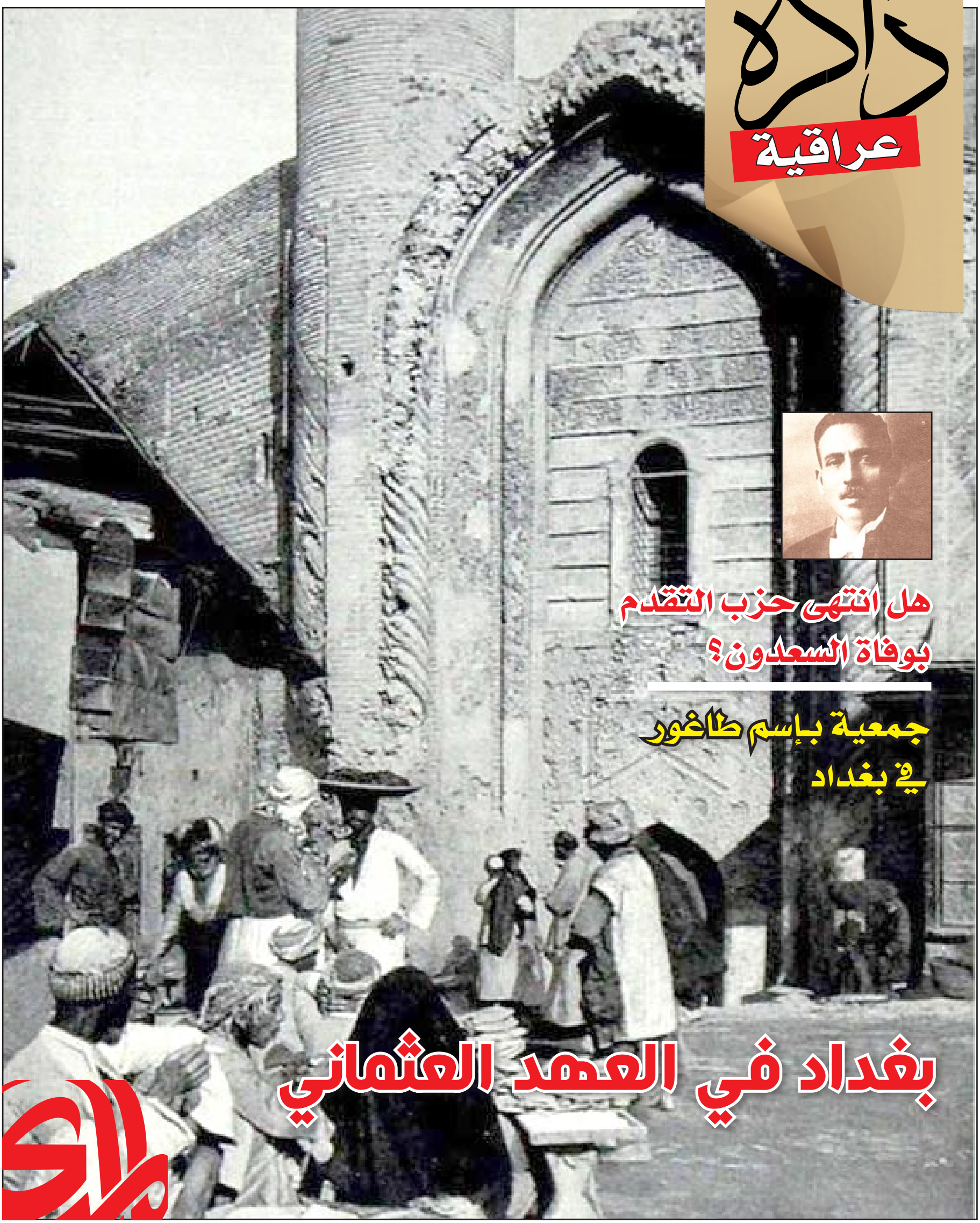

هل انتهى حزب التقدم بوفاة السعدون؟

جمعية بإسم طاغور في بغداد

بغداد في العهد العثماني

العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

حالة بغداد في العهد العثماني

■ محمد رؤوف الشيخلي/مؤرخ بغدادي راحل

الجسور

كان يوجد جسر واحد يربط جانبي بغداد وهو الذي رأسه في ظهر جامع الآصفية (المولة خانه) قرب المستنصرية والرأس الآخر في جانب الكرخ بين قهوة البيروتي وقهوة العكامة وموضعه في محل الجسر القائم الآن والمسمى (بالجسر القديم) كان قائماً على ٢٤ زورق يقال للواحد منها جسارية طوله ٢٢٠ متراً تقريباً، وجسر آخر يصل الأعظمية بالضفة التي يذهب الى الكاظمية وثم جسر آخر في جنوب بغداد في محل قصبة كلواذيالقديمة تقريباً يسمى جسر قراره ولا يوجد غير ذلك وملتزم الجسر أو ناظره يقال له (عزب اغاسي).

الشرايع

لما كانت المباني في بغداد متصلة بالنهر من القديم كانت بينها فرجات يمكن النزول منها الى النهر للإستقاء أو للعبور الى الجانب الآخر وكل واحدة من هذه تسمى شريعة فالشرايع في جانب الرصافة عددها (١٤) اليك هي: من الشمال الى الجنوب، شريعة المجيدية وهي خارج السور، وشريعة البقجة وهي بين مكتب الصنايع والنادي العسكري وشريعة القشلة وهي بينها وبين المدرسة الإعدادية العسكرية وشريعة الجسر وهي بجانب الجسر القديم وشريعة المصبغة وهي بين المستنصرية وقهوة الشط وشريعة خان التمر وهي جنوب خان الدفتردار وشريعة المحكمة الشرعية والذهاب إليها من داخل المحكمة وشريعة الغالبية وشريعة بيت النواب والذهاب إليها من جانب اورزدي باك، وشريعة بيت الباجه جي أو العمار وهنا أنشأ الجسر الثاني مؤخراً، وشريعة السيد سلطان علي وهي في الجهة الجنوبية منه، وشريعة المربعة أو الملا حمادي وهي أسفل من التي قبلها ، وشريعة كرد الشيخ والذهاب إليها من أستقامة شارع الكيلاني، وشريعة السنك وهي مقابل شارع السنك وشريعة الفناهرة وهي تقابل محلة الفناهرة.

وفي جانب الكرخ (١٠) وهي شريعة الجعيفر في آخر الكرخ من الشمال وبعدها شريعة خضر الياس بجانب مسجد خضر الياس وشريعة القمرية بجانب جامع القمرية وشريعة (الدمير خانه) وشريعة بيت النواب بجانب الدار المنسوبة الى آل النواب وشريعة بيت الأيلجي وشريعة رأس الجسر بجانب الجسر القديم وشريعة السيف بآخر السوق المنتهي بالمسجد الصغير وشريعة الشواكه والكريمات فتجد أن الشرايع في الكرخ أقل من ما في الرصافة وذلك لأن ضفة الكرخ عالية جداً ثم قصر المسافة بين أول الكرخ وآخره.

المحلات

ذكرنا أسماء المحلات مرتبة على حروف المعجم وهي أما بأسم عشيرة أو جامع أو معبد أو مرقد أو سوق أو جماعة ينتمون الى بعض البلاد أو صنف من أصحاب الأعمال أو علم خاص أو طبيعة الأرض وهي جانب الرصافة:-

آل أبي شبل، آل أبي مفرج، إمام طه، باب الأغا، باب الشيخ، بارودية، بني سعيد، تبة الكرد، تحت التكية، تسابيل، توراة، جديد حسن باشا، جوبة، حاج فتحي، حمام المالح، حنون صغير، حنون كبير، حيدر خانه، خالدية، خان لاوند، دشتي، دكان شناوة، دهانه، رأس الساقية، ست هدية، سراج الدين، سنك، سور، سوق عبيد، سوق الغزل، سويدان، سيد عبد الله، صبابيغ الآل، طاطران، طوب، عاقوليه، عزات طوالات، عزة، عمار سبع أبكار، غالبية، فرج الله، فضل، فناهرة، قاطرخانه، قراغول، قرة شعبان، قشل، قمر الدين، قنبر علي، قهوة شكر، كبيسات كولات، مربعة مهدية، ميدان، هيتاويين، ينكيجة، وفي جانب الكرخ:-

باب السيف، تكارته، جامع عطا، جامع غنام، جعيفر، خضر الياس، دوريين، راس الجسر، ست نفيسة، سوق الجديد، سوق حمادة، سوق العجيمي، شواكة، شيخ بشار، شيخ صندل، شيخ علي، علاوي الحلة، فحامه، فلاحات، كريمات، مشاهدة.

الشوارع

لا يوجد شوارع بالمعنى أو العرض أو الإستقامة المتعارفة اليوم إلا شارع الميدان وشارع السراي وشارع سيد سلطان علي وكل ما هو بعرضها وأمتدادها ويطلق عليه أسم العقد والدرب أيضاً مثل عقد القشل وعقد الصخر وعقد الخناق وغيره وأكثرها ليس لها أسم أو لها أسماء مختلفة كل يسميها بأسم ينسبها الى أحد ساكنيها والغير نافذ يسمى دربونه طالت أم قصرت والطرق كلها غير منتظمة ولا مستقيمة وأكثرها ضيق ومعوج وسبب الضيق يقال عدم الأمن ولكني أرى سببه الحر الشديد في الصيف والبرد في الشتاء وعدم وجود تنظيم في البلديات.

البساتين

كان يوجد بساتين في القسم الجنوبي من بغداد داخل السور بين جامع السيد سلطان علي والباب الشرقي وفيها النخيل على الأكثر وقليل من الفواكه وبعض الخضروات وهذه أهمها الكمالية والجوبه جي واوسته عباس والنقيب لأو السرداحية والنقره واكريبوز والمندلاوي والبكري وغيرها.

الآثار- السور

ما كان للسور أثر كما في الوقت الحاضر سوى أبوابه الأربعة وضلعي القلعة الخارجيين من جهة المجيدية ومن جهة دجلة بإعتبارها من السور لأنه كان متصلاً بهما وكذا ضلعي الدباغخانه أي من الباب الشرقي الى دجلة ومن هناك ينكسر على زاوية قائمة بإمتداد النهر الى شريعة الفناهرة وبعض الأساسات في محال أخرى متفرقة هذا في جهة الرصافة والأقسام الجزئية التي كانت ظاهرة قليلاً عن سطح الأرض في جهتي الجعيفر والكريمات من جانب الكرخ وكان أصحاب الدواب الذين ينقلون التراب وغيره بالأجرة ينقبون عن الطابوق في الأساسات المذكورة وبيبيعونه لأصحاب العمارات وقد نفذ ولم يبق منه شيء وللآن يقال لهؤلاء نقاب.

أنشىء هذا السور في زمن الخليفة العباسي الناصر لدين الله سنة (٦١٨) هجرية كما تدل على ذلك الكتابة التي كانت على موضع من أحد أبواب السور المسمى بالطلسم وقيل إنما هو أنشأ بعض أقسامه، أما تأسيسه ذلك بزمن غير يسير وقد هدمه الوالي (مدحت باشا سنة ١٢٨٥ هجرية) بداعي عدم فائدته بالنسبة للإختراعات الحديثة من المدافع المدمرة ولأجل توسيع بغداد.

ولا ندري إذا كان له قصد آخر سياسي، وقد أنشئ بحجارته بعض المباني الحكومية.

الخندق كان موجوداً بكامله من دجلة في الباب الشرقي بجانب القلعة ةالقناطر المبنية بالطابوق ذات الأطواق موجودة في باب المعظم وفي الباب الشرقي والباب الوسطاني للعبور عليها وقطع الخندق للجهة الثانية وعند طغيان دجلة كان الماء يملئ الخندق جميعه وأن كان مسدوداً من الجهتين إلا إنه يملئ بالترشح وكان يعطى بالالتزام فيزرعونه مخضرات وخاصة اللوبية وتستفيد منه الحكومة رسوم الأعشار فضلاً عن بدل الإيجار وفي جانب الكرخ توجد منه أقسام قليلة في جهتي الجعيفر والشيخ معروف.

أبواب السور

أربعة: باب المعظم وهو بشكل إيوان طويل مفتوح من الجهتين ذو أربعة أطواق بينها عقادات نصف كروية لا يشبه الأبواب الأخرى وباب الوسطاني وباب الطلسم على نسق واحد بشكل برج مدور تام التدوير وله باب تواجه البلد من الداخل وباب جانبية تواجه الخندق ومن هناك له قنطرة طويلة بموازاة الخندق وملتصقة بحافته الخارجية والباب الشرقي كان شكله مضلعا منتظما وكان مستعملاً كمضجع للجنود (سرية الدباغة من فوج الأعمالات الذي أسسه مدحت باشا).

القلعة وهي الموجودة الآن لم يتغير منها شيء.

قصر المأمون

وهو ضمن القلعة في زاويتها الجنوبية الغربية وهو يطل على دجلة ولم يره أو يعلم به أكثر أهل بغداد وسمع بع البعض الآخر ورآه عرضاً بعض الناس وهو بقايا قصر قديم يظهر إنه من زمن العباسيين.

خان المواصلة

وهو المدرسة المستنصرية واقعة على دجلة جنوبي الجسر القديم لم يشع إسمها وينتبه لها الناس إلا بعد إعلان الدستور في الدولة العثمانية سنة (١٣٢٥ هجرية) تأسست هذه المدرسة سنة ٦٣١ هجرية من قبل المستنصر بالله الخليفة العباسي وكانت مستعملة كمخزن للكمرك في الدور العثماني (في سوق دانيال).

جامع مرجان أنشأه أمين الدين الوالي في بغداد من قبل الشاه أويس الايلخاني ولم يزل قائماً وفي داخل المصلى منه كتابة بالآجر في جدار القبلة تشتمل على الوقفية برمتها (في أول سوق العطاطير).

خان الاورتمة

أي الخان المغطى أو المسقوف شاهدته لما كان مستعملاً كخان وفيه التجار في غرفه العديدة في الطابقين ثم أهمل وبقى كمخزن (في سوق العريض).

خان جغان

الباب منه فقط كانت تعد من الآثار وقد زالت الباب وغيرها الآن وكان فوق الباب كتابة لا أدري أين هي وما حل بها الآن لأنه تغير الى أسواق (في سوق الكمرك).

المنارة المقطومة

ذاكرة
العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

أي المقطوعة وهي كائنة في شارع الى يمينك إذا توجهت من جامع مرجان نحو باب الآغا يخرج الى درب الساقي يقال إنها من بقايا المدرسة النظامية وقيل غير ذلك والمنارة المذكورة من الأرض الى الحوض وقسم منه.

منارة سوق الغزل

وهي منارة جامع القصر الذي كان موجوداً في زمن العباسيين ولم يبق منه غير هذه المأذنة إرتفاعها حوالي ٣٠ مترا.

جامع الشيخ عمر

السهروردي قبة الضريح منه قديمة فوقها قبة مخروطية الشكل وهي القبة السادسة من شكلها في العراق والخمس الباقية هي (الست زبيدة في جانب الكرخ) وقبة (إمام دور بالقرب من سامراء) وقبة (الحسن البصري) (وإبن سيرين) في قصبة الزبير بالبصرة (ومشهد الشمس في الحلة) و (جامع الكفل) في قصبة الكفل.

جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني

والقديم منه القبة التي فوق مصلى الحنفية والباقي أحدث منها.

خان المرادية

أو خان الزرور- توجد فوق بابه التي من جهة سوق الخياطين القديم كتابة بالأبيض فوق كاشي أزرق قد تغطي أكثرها بطاق آخر مستحدث والظاهر من الكتابة فيه أسم السلطان سليمان ويمكن عدها من الآثار ولا أدري إذا كانت دائرة الآثار منتبهة لها وهل تعدها من الآثار أم لا.

مسناة خضر الياس

كانت ظاهرة من الشط عند نقصان المياه قيل إنها بناية كانت من زمن بختنصر البابلي يؤيد ذلك ما ذكر في خارطة جونس وعين محلها تقع شمال جامع خضر الياس.

جامع القمرية

بجانب الكرخ مقابل سراي الحكومة في الرصافة يأتي ذكرها كثيراً في أواخر زمن العباسيين.

السن

وهو قطعة كبيرة من مسناة أنقلبت الى دجلة في زمن لا نعلمه وبقيت فيها تقع جنوب آخر المحلات في الكرخ يقال إنها تعود لقصر كان لهارون الرشيد.

كنيسة الميدان

وهي قديمة قيل إنها أول كنيسة أنشئت في جانب الرصافة الحالية كانت سابقاً للكلدان وهي الآن للأرمن.

تابية باب الشيخ

تقع جنوب مقبرة الغزالي وهي تل مدور من التراب أو من اللبن وقد استحال قطعة واحدة بمرور الزمن.

تابية الشيخ عمر

تقع أمام جامع الشيخ عمر السهروردي وهي مثل تابية الشيخ تماماً وتسمى تابية الفتح أيضاً ومن أراد زيادة التفصيل عن هذه الآثار فعليه بكتابنا (معجم مدينة بغداد القديمة).

طوب أبو خزامة

وهو المدفع الموجود الآن في باب القلعة عن يمين الداخل قيل أنه أستعمل في فتح بغداد من قبل السلطان مراد الرابع العثماني وللعامة فيه خرافات لا محل لذكرها هنا وقد كتب عليه (صنع برسم السلطان مراد خان

عن كتاب الفترة المظلمة وما بعدها

جمعية بإسم طاغور في بغداد

■ سالم الالوسي
مؤرخ وآثاري

طاغور مع فيصل الأول والملك علي وجعفر العسكري ومحمد الصدر ونوري السعيد

كان المستر "مايترا" المستشار الثقافي في سفارة الهند ببغداد يسعى سعيا حثيثا لتأسيس جمعية ثقافية تحمل اسم الشاعر الفيلسوف الهندي "طاغور"، وقد اقام لهذا الغرض دعوة شاي بداره الواقعة في منطقة العطيفية بجانب الكرخ، دعا اليها عددا من الاساتذة الشعراء والادباء والفنانين ورجال الصحافة، القى خلالها محاضرة عن "رابندرانات طاغور" ومكانته العالمية في الادب والشعر والمسرح وكان ذلك ربيع عام ١٩٦٠.

جلسة ادبية

وفي خريف العام نفسه دعانا الشاعر الكبير الاستاذ حافظ جميل الى وليمة عشاء بداره تكريما للسيد "مايترا" حضرها عدد من الشخصيات الادبية والسياسية والصحفية منهم الاساتذة: محمد سليم الراضي – سفير العراق في الهند سابقا، والدكتور مصطفى جواد، حقي الشبلي، جعفر الخليلي، فؤاد عباس، مشكور الاسدي، احمد حامد الصراف، صبيح الغافقي، طلعت شوكة، وعدد آخر من الادباء والفنانين وكاتب هذه الكلمة.

تحولت الوليمة الى جلسة ادبية شعية من الطراز الاول دار فيها الحديث عن طاغور وشعره ومسرحياته ودعواته الاصلاحية التي اكسبته شهرة عالمية فوصف به "شاعر الحب والسلام" وقد تحدث كل من الاساتذين احمد حامد الصراف وجعفر الخليلي عن اشعار طاغور المترجمة الى الفارسية وغيرها من اللغات، ثم تكلم الاستاذ محمد سليم الراضي والاستاذ فؤاد عباس عن طاغور ومساعيه ودعوته لنشر مفاهيم السلام والتعاون بين الامم ونبذ العنف والحروب التي عانت منها البشرية وما تركته من كوارث وفواجع، وقد وصف الاستاذ الصراف زيارة طاغور الى العراق عام ١٩٣١، كما اقترح ان تتولى الجمعية المفترح تأسيسها الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاده "١٨٦١" والذكرى العشرينية لوفاته في ١٩٤١/٨/٧ توثيقا لروابط الصداقة بين الشعبين العراقي والهندي، وقد رحب الحاضرون بالفكرة وفي مقدمتهم السيد "مايترا" الذي قال انه سيعمل جادا ليكون هذا الاحتفال على المستوى الرسمي بالتعاون والتنسيق بين الجهات الثقافية في العراق والهند كخطوة اولى تتبعها خطوات لدعم التعاون بين البلدين الصديقين.

انتقل الحديث بعدها الى زيارة الفيلسوف "طاغور" الى العراق في الربع الاول من عام ١٩٣١ وقد تولى الاستاذ احمد حامد الصراف وصف مظاهر الاستقبال والحفاوة التي قوبل بها شاعر الهند الكبير وقد جاءت هذه الزيارة تلبية لدعوة من الملك فيصل الاول، اشرفت عليها وزارة المعارف على عهد وزيرها السيد عبد الحسين الجلبي في وزارة نوري السعيد الاولى،. وقد نهضت الوزارة بالمهمة فشكلت هيئة استقبال مؤلفة من: الشاعر جميل صدقي الزهاوي، الدكتور محمد فاضل الجمالي، العلامة محمد بهجة الاثري، المترجم الاستاذ عبد المسيح وزير وقد توجهت الهيئة الى خانقين لاستقبال الضيف القادم من ايران، وقد صحب الهيئة المصور ارشاك.

تكريم طاغور في بغداد

اقيمت لطاغور عدة حفلات وولائم احتفاءً به وتقديرا لمنزلته، تبارى فيها الشعراء والادباء ورجال الصحافة كان في مقدمتهم الزهاوي والاستاذ الاثري، كان الاستاذ الصراف كشير الاشادة بالزهاوي وبقصيدته، هنا انبرى الشاعر الاستاذ حافظ جميل معقباً بقوله انه يفضل قصيدة الاثري على قصيدة الزهاوي لكونها ارقى سبكا وابلغ نظما وادق تعبيرا، يضاف الى ذلك مضامينها الوطنية والقومية، أؤكد على ذلك – والقول لحافظ – وعلى مسؤوليتي كشاعر. وقد اصطف الاديب الشاعر جعفر الخليلي الى جانب حافظ جميل في الاشادة بالمستوى الرفيع لقصيدة الاثري، لانها شعر بمعنى الكلمة، بينما جاءت قصيدة الزهاوي خيالية ضعيفة لا ترقى الى المستوى المأمول من شاعر كبير مثله. ولما احتدم الجدل والنقاش بين الحاضرين نهض الشاعر حافظ الى مكتبته وعرض ديوان الزهاوي وصحيفة من الصحف البغدادية التي نشرت قصيدة الاستاذ الاثري وطلب الى الاستاذ الصراف ان يقرأ قصيدة الزهاوي، والى الاستاذ فؤاد عباس قراءة قصيدة الاثري، وبعد ذلك طلب الى الحاضرين التحكيم والمفاضلة بينهما، وقد اجمع الحاضرون على حيازة الاستاذ الاثري قصب السبق وانه المجلي في ميدان الشعر.

وتوثيقا لهذه الجلسة الادبية الشعية، وحفاظا على الامانة التاريخية ننشر القصيدتين ليطلع عليهما القراء:

قصيدة الزهاوي

كنت "طاغور" ماثلا في خيالي
حيثما التفت اجدك حيالي
عن يميني اذا نظرت يميني
وشمالي اذا نظرت شمالي
مثل نجم يهوي ابتساما جميلا
في دجى الليل من مكان عالٍ
وانا باسط اليك يدي في
ضرع اليائس الكثير الملال
قلت لي ان اردت ان نتناجى
فادن مني وفي الدنو تعال
قلت لا استطيع ذاك لاني
من شكوكي اسوح في الاوحال
قلت حاولت منها بنفسك افلا
تا فحاولته فبان كلالي
وضعت في جيدي الطبيعة اغلا
لا فما حيلتي مع الاغلال
ما بوسعي الدنو الا اذا حر
وتني او خففت الغالي
ثم لما تصرم الليل ينأى
وبدا الصبح ابيض الاذيال
لفظ الناس من كراها تحيي
موكب الشمس طالعا في جلال
لم يكن قد بان يومئذ لي
غير طيف من الحقيقة خال
وارى اليوم بالنواظر ماقد
كنت قبلا رأيته في الخيال

عتاب الاثري !

كانت الاوضاع السياسية في العراق مضطربة وغير مستقرة وعواطف الشعب ثائرة مائجة، والصحافة الوطنية تهاجم سياسة نوري السعيد وخضعه لمشيئة الانكليز وتنفيذه رغباتهم بسبب عقده معاهدة ١٩٣٠ الجائرة، وقد عمدت الدوائر الاستعمارية البريطانية بخبث ودناءة الى ان تجعل تاريخ ابرام هذه المعاهدة التي رفضها الشعب العراقي بكل اباء وكبرياء "يوم ٣٠ حزيران" وهو تاريخ ثورة الشعب العراقي ضد الاحتلال الانكليزي للعراق.

نقول في هذا الجو المشحون بالعواطف الثائرة ضد الاحتلال والمعاهدة، والغليان الشعبي على اشده كرها للانكليز ومعارضة لوزارة نوري السعيد، تتزامن زيارة الفيلسوف الهندي "طاغور" داعية الحب والسلام، ويومها فسرتها الاوساط الوطنية بانها –اي الزيارة – قد خطط لها وكانما جيء بطاغور لنشر دعابة مغلفة تهدف الى السكينة والهدوء ورفض العنف، وبكلمة اخرى التخفيف من معارضة الشعب العراقي للسياسة الانكليزية والدعوة الى المسالمة، وعلى قدر موجبات اللياقة مع ضيف الملك فيصل الاول، وجه اليه العلامة الاثري قصيدة يحتفي بها بشاعر الهند، ضيف العراق ضمنها عبارات، يشم من ثناياها بعض العتاب مؤكدا على ان المسالمة تختلف من حال الى حال، فقد تكون في بعض الاحوال من موقع القوة والاقتدار، وتقتضيها الحكمة والتدبير، وقد تكون من عوامل العجز والقصور، فتكون حينئذ خضوعا وانقيادا للسياسة الغاشمة، فلنستمع ونقرأ قصيدة العلامة الاثري التي قال فيها:

بسمت لبغداد وبغداد ثاكله
فلم تر الا ان تهش مجاملة
وبغداد ثغر صاغه الله باسما
لكل اديب حط فيها رواحله
محلة اجواد على بعد عهدها
عن البدر تقري الضيف بالروح عاجلة
هواها العلى فالمس نوازي نبضها
تجد وثبات الدم فيهن جافلة
وغن لها اغنية المجد تمتلك
هواها وذكرها الذوابل عاسله
هنالك ان تفعل تر اليوم امه
اعز من الاقدار جاشت مقاتله
وما هي الا ان ترى الامر سائحا
وما هي الا ان تثور مصاوله
لها عزمة فيها اناة ومن يكن
كذلك يصبر او يعز قبائله
اذا ما اقشعر الدهر فارقب فعالها
واصغ الى صوت القواضب قاصلة
الا.. لايرعك القول مني اقوله
وان بك ضدا للذي جئت حامله
فانا على حال اذا ما دريته
عذرت ورمت العفو ان كنت جاهله
وقد يدع الرأي امرؤ متصلب
وينصر رأيا عاش دهراً مناضله

ذاكرة
العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

الموصل وسينمات أيام زمان

■ ازهر العبيدي
باحث تراثي

كان العرض السينمائي يبدأ في العهد الملكي بالسلام الملكي وتظهر على الشاشة صورة الملك ثابتة مع علم العراق يرفرف، فيقف الجمهور احتراماً ويجلسون بعد الانتهاء من عزف السلام. كما كانت تعرض أخبار العالم المصورة أو جريدة مصر الناطقة أو جريدة العراق الجديد، وتعرض هذه نشاطات الملوك والرؤساء والمنجزات العمرانية والصناعية والسياحية في العراق ومختلف بلاد العالم.
كان للسينما عشاق وهواة وذوّاقة وهي تقدم المتعة والثقافة وتعلّم اللغة لمن يتابعها، والموصليون عاصروا السينما منذ نشأتها في الموصل في الثلاثينيات من القرن الماضي وحتى السبعينيات عند بدئها بالنزول من العرش الذهبي.

لقد فكّرتُ في الكتابة عن ذكرياتي عن السينما أيام زمان في الموصل من وجهة نظر التراث الشعبي، أوثق فيه العادات والتقاليد الشعبية التي واكبتها مضيفاً الجديد إلى كتاباتي في التراث الموصلّي الأصيل.
واخترتُ حقبة الخمسينيات والستينيات التي أعدها فترة العصر الذهبي للسينما في الموصل التي شهدت فيها السينما أقصى درجات الإقبال من الجمهور والأسر الموصلية.
وسأتحدّث عن الأفلام التي عرضت في النصف الأول من الستينيات والتي كنتُ أتابع تسجيلها في مفكرتي بكل دقّة، ففي مرحلة الشباب وقبل خوض معترك الحياة عشقت السينما مع أمثالي من الشباب، وكان المشاهد الهاوي يشاهد فيلماً واحداً في اليوم أو فيلمين في الأسبوع في الأقل. هذه المعلومات اللذيذة ما زالت في أذهان المتفرّج السينمائي القديم يستذكرها بين حين وآخر بلذّة غابت عنه في الوقت الحاضر بعد النكوص الذي شهدته دور العرض السينمائي والأفلام عندما ظهر التلفزيون والفيديو ...
لقد كانت حقبة من المتعة والفائدة ذهبت إلى غير رجعة، لعلّي في هذه السطور أعيد ذكراها لمن عاصروها، وأحفظها لتقرأها من بعدنا الأجيال القادمة.

صالة السينما

تشغل كل سينما مساحة واسعة من الأرض تقرب من (٦٠ × ٢٠) متراً، وتبنى على شكل (جمالون) مغطّى بالصفيح المضلّع الخفيف الوزن. ولم يعتد مستثمرو السينمات تشييد السقف بالحديد والأسمنت لصعوبة ذلك قديماً ولكلفته العالية، وبخاصة عندما تكون أرض السينما مؤجرة لمدة محدودة. ومن الجدير بالذكر أن سقف قاعة ابن الأثير في الجانب الأيسر من الموصل قد سقط في أثناء التشييد بسبب سعة مساحته وقلّة خبرة البنائين في هذا النوع من البناء في ذلك الوقت.
وكانت الطيور الأليفة تجد في هذه السقوف والفراغات تحتها أفضل ملجأ لها، فتدخل إلى الصالة في معظم السينمات وتشارك المشاهدين في العرض وتطير من مكان إلى آخر بحرية تامة. وكان تحت سقيفة الصفيح سقف ثان كاذب معلّق من ألواح الخشب (المعاكس) أو المقوّى السميك (الفايبر) أو مربعات (الستاير بورد) الأبيض. وتزيّن جدران عدد من الصالات قطع صغيرة من الجص نصف كروية تشبه (الكبّة الصغيرة) متراصة على نحو منتظم جميل، كان يقال لنا أنها لمنع الصدى داخل القاعة.
ولكلّ سينما باب كبير يقع على الشارع العام يتكوّن من الحديد المشبّك أو الحديد (السلايد) الذي يفتح إلى الجوانب، ويسهل من خلال الباب مشاهدة الإعلانات وصور الأفلام أثناء إغلاق باب السينما. وبعد الباب ممر طويل على جانبيه صناديق زجاجية تعلّق فيها صور الأفلام، خصص أقربها إلى الباب للفيلم الذي يعرض حالياً كتب في أعلاه (هذا اليوم) أو (هذه الليلة) أو (يعرض حالياً).
وخصص الصندوق التالي لفيلم (الأسبوع القادم)، والذي يليه للفيلم الذي سيعرض (قريباً جداً)، ثم للأفلام الأخرى (قريباً).
وفوق الصناديق تعلّق على الجدار إعلانات (مانشيتات) الأفلام الملونة الجذابة التي تجذب المشاهدين وتغريهم بمشاهدتها.
وفي نهاية الممر وعلى الجانبين غرف لقاطعي التذاكر التي يسمّيها الجمهور (التكت) أو (البطاقة)، ويوضع حديد أمام الشباك لترتيب وقوف الرواد في صفّ واحد، لكنّ هذا لا يمنع تدافع الجمهور باستمرار ولاسيما الأطفال منهم، وقد تحدث مشاجرات أو يسقط العقال (العكال) من على رؤوس عدد من الرجال. وكانت مجموعة من السينمات تخصص باباً آخر للدخول إلى الموقع الثاني والخروج منه، وهو الذي كان يتفوّق بعدد الجمهور على الموقع الأول فضلاً عن كون معظمهم من الأطفال والشباب، وكانت معظم السينمات تغلق الباب الثاني لعدم الحاجة له واقتصاداً في عدد العمال.
وبجانب غرفة قطع التذاكر غرفة لإدارة السينما على بابها قطعة تحمل عنوان (الإدارة)، وحانوت لبيع الأطعمة الخفيفة والمشروبات الغازية والنقول (الكرزات)، ثم التواليت. ولكلّ سينما جرس يرنّ مرّتين الأولى قبل العرض والثانية بعد الاستراحة. وفي صدر الممر باب إلى الموقع الثاني (إن لم يكن للسينما باب ثاني) يجلس عنده قاطع التذاكر الذي يفحص التذكرة ويمزّقها أو يحتفظ بها لإعادة بيعها بالاتفاق مع الإدارة لوجود ضريبة بلدية على كل بطاقة تباع.
ويكون الموقع الثاني في الطابق الأرضي على الأغلب، لكنّ دور سينما الملك غازي الشتوية وسينما الحدباء وسينما هوليوود تميزت بوجود الموقع الثاني في الطابق الأول يرتقى إليه بسلالم طويلة على جانبيها أنبوب حديدي يستعين به كبار السن في الصعود والنزول، وينزلق عليه الأطفال في النزول.
وتغطي مدخل باب الموقع الثاني ستارة سوداء لحجب الضوء من الخارج، وتكون كراسيّه عبارة عن مساطب خشبية طويلة بمتكأ خشبي غير مريحة في الجلوس.
أما الموقع الأول فيكون في الطابق الأول أو الثاني وعلى شكل مدرّجات (سلالم) طويلة عريضة عليها صفّ واحد من الكراسي الجلدية المفردة، وتتوزّع المقاعد في ثلاث مجموعات يفصل بينها ممرّان. ثم أخذت عدد من دور السينما تقتطع جزءاً من الطابق الأسفل لضمّه إلى الموقع الأول. وكان لكلّ دار عرض سينمائية عدد من (الألواج) خلف الموقع الأول، وهو ما تفضّله الأسر لتبتعد عن أعين المتطفلين، ويضم اللّوج الواحد أربعة مقاعد أو ستة للأسرة الواحدة أو لعدد من الأصدقاء وأولاد الذوات. وكان في مؤخرة الصالة وفي الوسط غرفة العرض التي تحتوي على مكائن كهربائية ومسيطرات للإنارة والصوت التي يديرها (مشغّل) كفء قديم متمرّس يتحمّل كلّ ما يصدر عن الجمهور من صياح وشتائم.
وتقع في مقدمة الصالة الشاشة الجصّية في السينمات الصيفية والقماشية البيضاء في السينمات الشتوية، وكانت الشاشة مربعة الشكل مقوسة الزوايا قبل ظهور السينما سكوب، ثم أصبحت مستطيلة بعد ظهورها.
وتوضع مكبرات الصوت (السمّاعات) خلف الشاشة أو أمامها أو على جانبيها، وكانت بدائية أول الأمر مشوشة لا يميز الصوت فيها بوضوح. وفي السينمات الحديثة مثل سينما الجمهورية وضعت ستارة ملوّنة أمام الشاشة تفتح وتغلق قبل العرض وبعده.
وكان المشاهد عند خروجه خلال عرض الفيلم أو بعد عرض المقدمات في الاستراحة أو (الفترة) يعطى بطاقة صغيرة تسمّى (خروج) لتسهّل له العودة إلى الصالة بعد قضاء حاجته في التواليت أو الحانوت أو خارج السينما.

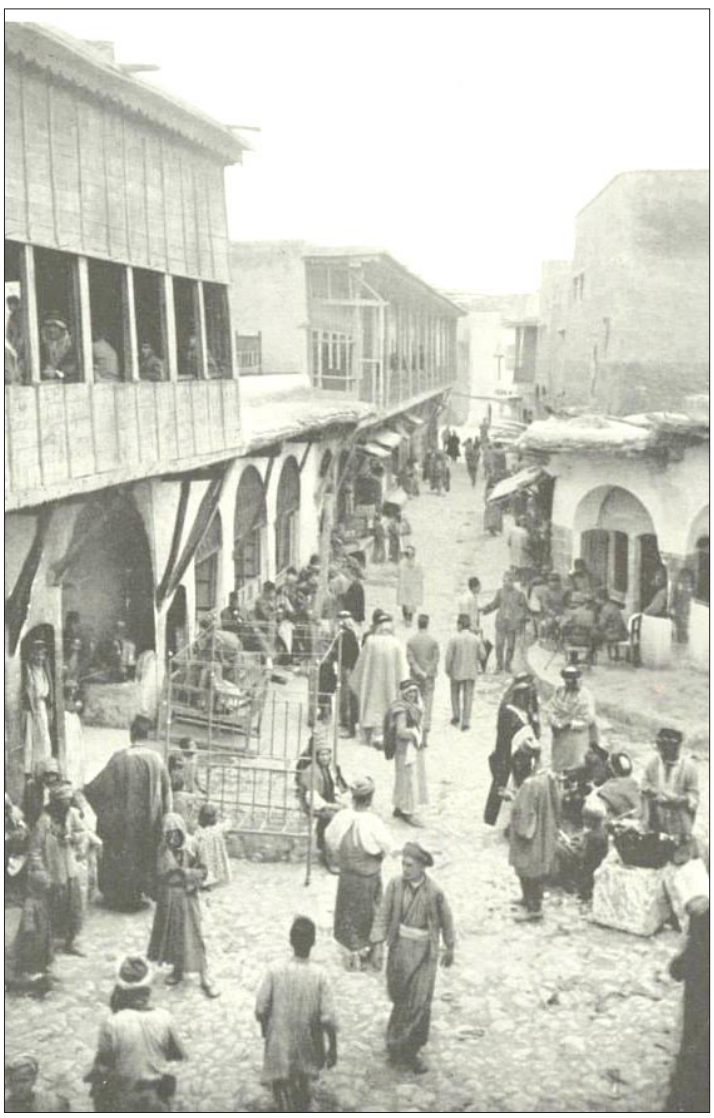

الموصل القديمة

التهوية والإنارة

كانت دور العرض السينمائي في البداية من دون أجهزة تدفئة أو تبريد، وكان المشاهد يضع يديه في جيوبه ويلبس غطاء رأس صوفي في الشتاء، وفي الصيف كان العرق يتصبب من المشاهد، لكنّه ينسى البرد والحرّ عند انسجامه مع الفيلم الجيد. وبدأت مكيفات الهواء التي تعمل بالماء (المبرّدات) تستعمل في نهاية الخمسينيات، فتوضع واحدة كبيرة أسفل الشاشة أو اثنتان على جانبيها لتدفع الهواء البارد إلى الأمام، وكان المشاهدون يختارون أماكنهم في اتجاه هبوب الهواء البارد. كما توضع أعداد منها في الموقع الأول تدفع الهواء من فتحات جانبية من الخارج إلى الصالة. واستعملت أجهزة تدفئة كهربائية صغيرة تعلّق على الجدران تعمل بملف كهربائي، ثم طوّرت أجهزة التكييف في الستينيات وبخاصة في السينمات الحديثة إلى أجهزة متطورة للتكييف المركزي.
أما الإنارة فكانت ضعيفة وتعتمد على الإنارة الخارجية الطبيعية بفتح الشبابيك الخشبية قبل عرض الفيلم وبعده، ويفتح الشبابيك ويغلقها عامل يستخدم لذلك عموداً خشبياً طويلاً. وتدور الشبابيك على محور وسطي ليسهل فتحها وغلقها بسهولة وسرعة، وتغطيها من الداخل ستارة سوداء يسحبها العامل بعد غلق الشباك. وكان الأطفال وبخاصة في العيد يهزجون ويصيحون فرحاً عند قيام العامل بغلق الشبابيك إيذاناً ببدء العرض. ووضع فوق كل باب من الداخل لوحة زجاجية حمراء منيرة كتب عليها (خروج) ليستدل الخارج إلى الباب في أثناء عرض الفيلم. وكانت سينما الحدباء تتميز بوجود باب الخروج للموقع الثاني مقابل الشمس نهاراً، مما يجعل المشاهد يغمض عينيه في أثناء الخروج بعد انتهاء عرض الفيلم.

أوقات العرض وأسعار الدخول

كانت توقيتات العرض ثابتة وموحدة تقريباً وتعلّق لوحة بها قرب شباك التذاكر وكما يأتي:
الدور الأول ١٠ ٣٠ صباحاً أيام العطل والجمع فقط
الدور الثاني ٣٣٠ عصراً
الدور الليلي ٧٣٠ مساءً
ولم يعتد جمهور الموصل على وجود عرض

تذكرة
العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

بعد الظهر من (١-٣) ظهراً إلاّ في الأعياد. ولم تعمل دور العرض في الموصل بالدور الليلي من الساعة (١٠-١٢) ليلاً كما في العاصمة بغداد إلاّ في فترة متأخرة وفي السينمات الحديثة.

أما أسعار التذاكر (البطاقات) فكانت تتغير تبعاً للزمن ونوع السينما، وكانت البلدية تزيد من مبلغ الضرائب على التذاكر مما يؤدي إلى رفع الأسعار، وكان مستثمرو السينمات يتهربون من هذه الضريبة ببيع التذكرة نفسها عدة مرّات. وكانت الأسعار في الثلاثينيات والأربعينيات (٤٠) فلساً للموقع الأول و(٢٠) فلساً للموقع الثاني. وفي الخمسينيات (٦٠) فلساً للموقع الأول و(٤٠) فلساً للموقع الثاني. وفي الستينيات (٧٠-٨٠) فلساً للموقع الأول و(٥٠) فلساً للموقع الثاني. وكانت عروض يوم الاثنين والخميس عصراً مخصصة للجنود وضباط صف الجيش العراقي وبسعر (٢٥) فلساً للتذكرة الواحدة.

الإعلان عن الأفلام

قبل عرض كلّ فيلم وقبل يوم الاثنين من كلّ أسبوع تحديداً يتم الإعلان خارج السينما بعدة طرائق وبحسب أهمية الفيلم وإمكانية المستثمر المادية. في البداية كانت العربات التي تجرّها الخيول تستخدم في الطواف ضمن شوارع المدينة يتصدرها إعلان كبير ملوّن للفيلم، ويجلس فيها عدة أشخاص يعلنون بمكبرة صوت –تؤجر من مخزن محمد في شارع غازي – عن اسم الفيلم وتاريخ عرضه واسم السينما وأسماء الممثلين، ويشيدون بقصة الفيلم وأحداثه بتعابير مثيرة ومشوّقة، ومعهم طبل يقرع ليجلب انتباه الناس. وكانوا ينثرون في الهواء الإعلانات الورقية الملونة الخاصة بالفيلم وبأحجام كبيرة وصغيرة بين آونة وأخرى.

وكان جمع من الأطفال يتعلّقون بالعربة من الخلف أو يجرون إلى جانبها للحصول على إعلان الفيلم الذي يضم صور الممثلين وأسماءهم وموعد عرض الفيلم. وكان عدد من الشباب يهوى جمع هذه الإعلانات ويراجعونها ويبادلونها فيما بينهم وما يزال بعضهم يحتفظ بها باعتزاز إلى الآن. ثم استخدمت السيارات بدل العربات في الدعاية والطواف داخل شوارع المدينة مع الطبل ومكبرة الصوت.

وكان الخطاط عبد العالي يرسم مانشيتات ملونة كبيرة للأفلام تعلّق في بوابات السينمات، وفعل مثله الهاوي سالم العزاوي الذي قدّم فيما بعد برنامج عدسة الفن من تلفزيون العراق.

وكان الإعلان اليومي يتم بأن يحمل عامل إعلان في السينما لوحة مستطيلة لها حاملة أسطوانية على كتفه، ويلصق على اللوحة إعلان الفيلم وموعد عرضه. وكان المخبول (سهيل) من الأسماء التي عرفت بحمل لوحة الإعلانات، ويرافق شخص آخر حامل الإعلان يوزّع الإعلانات الورقية الملونة.

المقدمات

يبدأ العرض السينمائي في المواعيد المحددة مهما كان عدد المتفرجين، وقد تمتلئ صالة العرض عند عرض الفيلم الجيد أول مرة، فيقولون (قبّط الفلم)، أو في أيام الجمع والأعياد فتعلّق على شباك التذاكر أو على الباب الخارجي للسينما قطعة كتب عليها (الصالة مملوءة).

كان العرض السينمائي يبدأ في العهد الملكي بالسلام الملكي وتظهر على الشاشة صورة الملك ثابتة مع علم العراق يرفرف، فيقف الجمهور احتراماً ويجلسون بعد الانتهاء من عزف السلام. كما كانت تعرض أخبار العالم المصورة أو جريدة مصر الناطقة أو جريدة العراق الجديد، وتعرض هذه نشاطات الملوك والرؤساء والمنجزات العمرانية والصناعية والسياحية في العراق ومختلف بلاد العالم.

وكانت المقدمات التي تعرضها السينما مشوّقة وبخاصة عندما تتضمّن أفلام الكارتون التي كان يسميها الأطفال (أفلام الشويطين) ولم تكن معروفة في ذلك الوقت غير أفلام (ميكي ماوس). وكانت الدعايات للراديوات والسيكاير تعرض بوساطة السلايدات الثابتة مثل راديوات سيرا وساعات أرداث وسكاير ونستن ...، كما تعرض أفلام متحركة لصابون لوكس مثلاً: يقول المعلق (كلّ تسع من عشر من نجوم السينما يستعملن صابون لوكس للتواليت – بيبر أنجلي – مارتا هاير – اليزابيث تايلور ... الخ) وتعرض صور هذه الممثلات مع الإعلان. وتعرض في المقدمات كذلك لقطات دعائية مشوّقة من الأفلام التي سيجري عرضها قريباً وقريباً جداً والأسبوع القادم حسب المصطلحات السينمائية.

الاستراحة

تعقب المقدمات استراحة يسمّيها الجمهور (فترة) لمدة (١٠) دقائق بعد المقدمة التي تستغرق (١٠-١٥) دقيقة، وكان الجمهور يميل إلى المقدمات الطويلة ويحبذها. وفي الاستراحة تعزف أغانٍ معروفة ومشهورة، واختصّت سينما الحدباء بعزف أغنية الموسيقار محمد عبد الوهاب (جفنه علّم الغزل) وأغنية كارم محمود (على ورق الورد حاكتبله)، وسينما الملك غازي بعزف أغنية الموسيقار فريد الأطرش (الربيع).

واختصّت باقي السينمات بأغانٍ أخرى تبقى مدة طويلة لأنها مسجلة على اسطوانة أو على شريط كبير من النوع القديم.

وكان عدد من السينمات يقدّم استراحة وسط الفيلم الطويل الذي يستغرق عرضه أكثر من ساعتين لإراحة الجمهور والمكائن وتبديل بكرات الفيلم. وعندما يعرض الفيلم في أكثر من سينما يتم تبادل البكرات بوساطة راكب دراجة هوائية خلال الاستراحة. وفي الاستراحة يسمح للمشاهدين بالخروج إلى التواليت أو لتناول الأطعمة والمشروبات الغازية وشراء النقول من الحانوت.

الباعة

ذكرنا أن الحانوت موجود في كلّ سينما وهو يبيع السكاير والمشروبات الغازية (كوكا كولا – بيبسي كولا – الناميلت الوطني – مشن – سينالكو) وكذلك الحلويات والعلك والنقول. ويدور عدد من الباعة الذين يعملون مع صاحب الحانوت متبرعين على الأغلب ليعلنوا عن بضاعتهم (بارد – بارد) (حب – سسي – جكاير – علك) (ناميلت بارد – كوكا – بيبسي – مشن) وتوضع هذه القناني في دلو (سطل) من الماء والثلج. ويدور بائع آخر يحمل إناء للماء (دولكة فافون) أو سطلاً فيه ماء مثلّج مع طاسة معدنية ويصيح (ماي – ماي بارد – ماي). ويدور باعة الدوندرمة ذات العلبة و(أم العودا) و(الكريما ستيك) ثم (الموطا). والآخر يحمل صندوقاً زجاجياً صغيراً فيه كعك وحلويات صغيرة من جوز الهند تسمّى (المعكرونية) وهو يصيح (معكرونية – كيك - معكرونية)، وآخر يحمل كعكاً على هيئة حلقات ويصيح (جورك حار – جورك) أو حلويات مطعّمة بالجوز تسمّى (لوزينج) ويصيح (لوزينا – أم الجوز واللوز).

الموصل القديمة

وبائع آخر يحمل سلة صغيرة فيها رقائق من العجين واللحم المشوي بالفرن تسمّى (لحم بعجين) أو (عروق) ويصيح (لحم بعجين – حار طيّب) أو (عروق تنّور – حار طيّب)، ومن يصيح (عنبه وصمّون).

وفي الشتاء يطيب للمشاهدين تناول الحليب الحار من قدر كبير يوضع أسفل الشاشة أو قرب الحانوت وتحته طبّاخ نفطي (بريمز)، سعر (الكوب) عشرة فلوس. أو يخرجون لتناول (اللبلبي) من الحمّص أو (المستوى) من الشلغم والشوندر المطبوخ في باب السينما من الباعة المتجولين.

وينشط هؤلاء الباعة قبل عرض الفيلم وخلال الاستراحة، ويقلّ دورانهم في أثناء عرض الفيلم. وكان باعة المشروبات يجمعون القناني الفارغة من تحت الأرجل قبل عرض الفيلم في السينمات الصيفية، وبخاصة عندما يكون الفيلم لفريد الأطرش ويتضمّن أغاني ومواويل، فقد كان عدد من المتفرجين السكارى والشقاوات يضربون الشاشة الجصّية بالزجاجات الفارغة تعبيراً عن إعجابهم وانسجامهم مع الأغنية. كما أن عدداً آخر ينفعلون مع المواقف الدرامية العنيفة، ففي أحد أفلام الفنان زكي رستم الذي يظهر فيه بدور شرير يحاول اغتصاب فتاة نائمة لا يعلم أنها ابنته (كما تقول قصة الفيلم) فيأخذ الجمهور بالصياح (لا ... لا) ويضرب بعضهم الشاشة بالزجاجات الفارغة وفي بعض الأحيان بالأحذية.

وكان المتفرجون الذين يتناولون النقول بكثرة ولاسيما الحب والسسي يتركون الفضلات تحت أرجلهم، وكان عدد من الأطفال وعديمي الذوق يرمون القشور من الطابق الثاني إلى الطابق الأول على رؤوس المتفرجين أو يبصقون عليهم، فيلتفت أحدهم إلى الخلف ليسمع من في الأعلى شريطاً من السباب والشتائم، أو يصعد إليه فتحدث معركة حامية يتدخل الجمهور لفضّها وفك الاشتباك. وكثيراً ما كانت تنشب العديد من المعارك بين المتفرجين لسبب أو لآخر تنتهي بإخراج المتشاجرين خارج الصالة.

عرض الفيلم

يبدأ عرض الفيلم بعد أن يرن الجرس معلناً ابتداء العرض، وقد يدخل عدد من المشاهدين بعد إطفاء النور فيقودهم عامل يحمل بيده مصباحاً يدوياً (بيم – تورج) إلى المقاعد الفارغة وهذا مما يزعج الجمهور. ويسمّي الأطفال بطل الفيلم بـ(الولد أو البطل) وبخاصة في أفلام رعاة البقر (الكاوبوي) والعصابات، وكانوا يصفقون ويصفّرون ويهزجون عندما يركض البطل أو يسوق سيارته أو حصانه مسرعاً لنجدة البطلة التي يسمّونها (البنت) وإنقاذها من أيدي الأعداء (العصابة أو العداوة). وكان عدد من الأطفال الثرثارين الذين شاهدوا الفيلم مرات عدة يعكّرون الجو عندما يستبقون أحداث الفيلم ويقصّون لزملائهم الأحداث القادمة بصوت مسموع، وكثيراً ما تحدث المشاجرات لهذا السبب.

وفي الأعياد كان الجمهور يصيح ويصفر عند انقطاع الفيلم ويطلقون المفرقعات (التبتور) و(الزنبور) و(الكبسون) احتجاجا، ويملؤون جو الصالة بدخان السكاير ويستديرون إلى الخلف صائحين على المشغّل (يول ...لا تبوق) أي لا تقطع وتسرق من الفيلم، ويشتمه المشاغبون والشقاوات وهو لا حول له ولا قوة. وكان مشغّل السينما يقطع الفيلم بأمر من مستثمر السينما لكي يتمكّن من تشغيل (فلمان (فلمين) في آن واحد) كما جرت عليه العادة في معظم السينمات.

وكان الجمهور يصفر عند مشاهدة التقبيل بين البطل والبطلة أو حوادث الاغتصاب، وقد اعتاد معظم المخرجين وبأمر من المنتج إنهاء أفلامهم بقبلة طويلة بين البطل والبطلة. ويجب أن يبقى البطل إلى نهاية الفيلم مع البطلة حياً، أما إذا مات فإنّ المشاهدين يعدّون الفيلم غير جيد ولا يستحقّ المشاهدة. وعندما يخرج الجمهور ويجد أن صورة أو أكثر من الصور المعروضة في ممر السينما للدعاية لم تعرض في سياق الفيلم يقولون أنّ المشغّل (قصّا) أي قصّها أو سرقها (باقا). ومن الأمثال المتداولة عن السينما: (سينما بلاش) عندما تنكشف ملابس النائم و(صاغوا سينما) أي فضحوا نتيجة العراك وبخاصة عراك النساء.

ذاكرة
العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

هل انتهى حزب التقدم بوفاة السعدون؟

■ قصي محمود الحسناوي

عبد المحسن السعدون

بعد أن شكل عبد المحسن السعدون وزارته الثانية في ٢٦ حزيران ١٩٢٥، ومن قبلها حزبه "حزب التقدم"، الذي سمي فيما بعد بـ"حزب الأكثرية النيابية"، ازدادت طموحاته كثيراً بعد أكثر من شهر تقريباً، والدليل على ذلك، أنه في يوم ٢٠ آب ١٩٢٥، اجتمع عدد من الشخصيات المهمة كان بينهم، طالب النقيب ومحمد أمين باش اعيان وعبد الكريم السعدون شقيق عبد المحسن السعدون، مع ملاك اراضي آخرين في قصر باش اعيان في البصرة، وناقش المجتمعون مسألة التخلص من الملك فيصل الأول وإقامة (جمهورية) تحت حماية البريطانيين يكون عبد المحسن السعدون رئيساً لها. وخلال الاجتماع أكد عبد الكريم السعدون أن آل باشا اعيان وكل عائلات بغداد النافذة وعشائر المنتفك والعلماء وكثيرين إلى جانب أخيه يؤيدونه، وأعلن كل المجتمعين تأييدهم للفكرة، ودعا الاجتماع كذلك إلى بصرة مستقلة ذاتياً ومحمية من البريطانيين. ومن المرجح أن الانكليز، قد شجعوا مثل هذه الميول الانفصالية أو الجمهورية، لأن علاقتهم مع الملك فيصل الأول اصطدمت على ما يبدو ببعض العقبات، إذ استغل الانكليز هذا الاجتماع الذي حدث في قصر باش اعيان لتحقيق هدف واحد هو جر الملك إلى إطار ذهني أكثر مرونة.

وإزاء ذلك كله، فقد كان الملك فيصل الأول قلقاً أشد القلق من عبد المحسن السعدون الذي كان يتمتع بثقة دار الاعتماد البريطاني ويستمد نفوذه منها مباشرة، إذ بدأ يشعر بأن ذلك يهدده ويجرده من نفوذه كملك ويجعل من السعدون وسيطا له في حل ما يقع من خلاف بين دار الاعتماد البريطاني والبلاط الملكي، وكان فيصل يريد إلا يشاركه في اعتماد الانكليز أحد سواه، ولعل شعوره تجاه عبد المحسن السعدون الذي كان موضع ثقة السير هنري دوبس المندوب السامي البريطاني، لا يختلف عن شعوره تجاه السيد عبد الرحمن النقيب، الذي كان موضع اعتماد السيد برسي كوكس من قبل، وقد حاول الملك فيصل الأول، إزاحة عبد الرحمن النقيب من رئاسة الوزراء لعدم اطمئنانه اليه، ولعدم امكانه التخلص من الشعور الذي كان يستولي عليه من ان عبد الرحمن النقيب كان إلى الأمس القريب ينافسه على العرش.

ونتيجة لذلك، قرر الملك فيصل الأول تحطيم حزب السعدون "حزب التقدم" الذي يحظى بالأكثرية النيابية وتفريق صفوفه، وقد استعان فيصل بنوري السعيد وجعفر العسكري للقيام بذلك من خلال انضمامهما للحزب، وقد أدى نوري السعيد بصفته عضواً في "حزب التقدم"، بالتفاهم مع الملك فيصل هذا الدور، بأن تخريب الحزب من الداخل اسهل من تخريبه من الخارج، واستطاع ان يفرز من صفوفه جناحاً يتلقى توجيهاته من الملك فيصل بدلاً من أن يتلقاها من عبد المحسن السعدون. أما جعفر العسكري، وهو رجل الملك فيصل فقد نجح في أن يعدل في نظام الحزب الداخلي وان يصبح رئيسا له فيما بعد.

وتنبغي الاشارة هنا، إلى أن تدخل البلاط بالطريقة الاوتوقراطية في العملية السياسية مدعاة لمشاكل سياسية بينه وبين الحكومة ودار الاعتماد. ولكن لم تمتعض جميع الحكومات العراقية من تدخلات فيصل في الإدارة، سوى السعدون بشأن النشاطات غير الدستورية للملك.

وعلى الرغم من ذلك، فأن الخلاف بين الملك فيصل الأول وعبد المحسن السعدون، لم يكن صراعاً من أجل السلطة، أي أن السعدون لم يرد أن يكون من تصادمه مع الملك أن يكون ملكاً، بل كان يريد أن يمارس حقوقه الدستورية كرئيس للوزراء بدون تدخل غير دستوري من الملك.

ومهما يكن من أمر، فأنه سرعان ما ظهرت بوادر الانشقاقات في جسد "حزب التقدم"، في بداية تأسيسه، إذ أدى انتقاد الحزب للروابط الفكرية بين أعضائه إلى ظهور الخلافات في صفوفه.

وبحكم ذلك، فقد مني "حزب التقدم" في بداية تأسيسه بـ(ثلاثة هزائم) أمام القوى المعارضة، فكانت "الهزيمة الأولى"، تتعلق بعزم الحكومة على ارسال وفد عراقي لحضور اجتماع عصبة الأمم من أجل التباحث حول (قضية الموصل)، إذ تألف الوفد من ناجي السويدي وزير العدلية، والبطريرك الكلداني يوسف عمانوئيل، وأرشد العمري معتمد "حزب التقدم"، وإسماعيل راوندوزي نائب لواء اربيل.

وفي ضوء ما تقدم، فأن تسمية هذا الوفد جاء كمفاجأة لأكثرية النواب، إذ لم يجر ذكره، داخل "حزب التقدم" قبل طرحه للتصويت أمام المجلس النيابي. وبناءً على ذلك أوضح السعدون رئيس الوزراء، ورئيس "حزب التقدم" دوافع الحكومة لتشكيل هذا الوفد، لكن المعارضة انتقدت الحكومة واستهزأت من وجود معتمد "حزب التقدم" أرشد العمري وإسماعيل راوندوزي، ووجدت أنه من المضحك أن يضاف إلى الوفد بطريرك الكلدان بعد أن أوضح تقرير البعثة الدولية لعصبة الأمم، أن رجال الدين المسيحيين يفضلون الاتراك على الحكومة العراقية، وعندما صارت الجلسة علنية طلب رئيس الوزراء السعدون من المجلس أن يوافق على إضافة التقدميين ارشد العمري واسماعيل راوندوزي إلى الوفد. وعند التصويت رفض المجلس هذا الطلب إذ صوت له واحد وثلاثون نائباً، وعارضه ثلاثة وثلاثون نائباً، كما تقرر ان تسند مهمة طرح قضية العراق امام عصبة الأمم إلى جعفر العسكري، ممثل العراق السياسي في لندن آنذاك.

وفي سياق ذلك ،أعلن ياسين الهاشمي وحزبه صراحة أن اللجنة أرسلت من قبل البريطانيين لغرض واحد وهو ابقاء الانتداب على العراق لمدة (خمسة وعشرين سنة) فطالب بإسقاط وزارة السعدون.

ومما يؤكد ذلك، قيام الحكومة في ٢ أيلول ١٩٢٥، بإرسال برقيتين واحدة إلى عصبة الأمم وواحدة إلى جعفر العسكري ممثل العراق السياسي في لندن، تشيران إلى تمديد فترة الانتداب البريطاني في العراق لمدة (خمسة وعشرين سنة)، وقد عارض إرسال تلكما البرقيتين أربعة عشر نائبا، ولم يصوت عليهما كل من ياسين الهاشمي والسيد محسن أبو طبيخ.

ومن الجدير بالذكر، أن عدد من أعضاء "حزب التقدم" قد ساندوا المعارضة داخل المجلس النيابي أمثال مظهر الحاج صكب وفخري آل جميل وعبد المجيد الشاوي والنواب الكرد.

ومهما اختلفت الدوافع والمقاصد، فقد عادت الخلافات بين أعضاء "حزب التقدم"، مما أدى إلى" الهزيمة الثانية" له مع بداية تأسيسه، وذلك عندما عرضت حكومة السعدون في ٢٥ آب ١٩٢٥ ميزانية شهر أيلول، من قبل وزير المالية رؤوف الجادرجي، إلا انها رفضت من قبل مجلس النواب، وفقدت الحكومة الثقة مما دعا وزير المالية إلى استقالته، وكان رفض مجلس النواب المصادقة عليها، على أساس انها تحتوي على نفقات كثيرة، وقد كان ذلك الرفض أول علامة لفقدان سيطرة السعدون على قرارات المجلس بوساطة الأكثرية التي كان يتمتع بها "حزب التقدم" داخل المجلس، وشعر بعض أعضاء "حزب التقدم" بالخطب الحماسية التي شنتها الاقلية داخل المجلس، وشعر السعدون بأنه أخذ يفقد سيطرته على نواب "حزب التقدم"، أما الوزراء فقد فسروا رفض المجلس للائحة على أنه بمثابة عدم ثقة المجلس بالوزارة القائمة، مما أدى ببعضهم إلى إبداء رغبتهم إلى السعدون بالاستقالة من مناصبهم،فقصد السعدون دار الاعتماد البريطاني في اليوم نفسه، وتباحث في الأمر مع المندوب السامي.

وعلى أية حال، ففي اليوم التالي ٢٦ آب ١٩٢٥، أصبح الموقف أقل توتراً، فقد أقنع عبد المحسن السعدون "حزب التقدم" بقبول الميزانية وأشار إلى أن الوقت الحاضر ليس وقت قيام الأعضاء أعضاء "حزب التقدم" بوضع العراقيل في طريق الحكومة .

وفي السياق ذاته، طالب السيد محسن أبو طبيخ أحد أعضاء "حزب التقدم" بوجوب استقالة وزيري المالية والعدل، إلا أن عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء ورئيس حزب التقدم ذكر أن النواب ليس باستطاعتهم طلب استقالة قسم من الوزراء، وستتوفر الفرصة لمجلس النواب بالتصويت بالثقة، ويجري غير ذلك. وفي يوم ٢٧ آب ١٩٢٥، أقرت الميزانية، بعد تعديل بسيط ولم يكن هناك عرض باستقالة الحكومة، وأن الأزمة قد انتهت.

ونتيجة لذلك، فقد أرسل عبد المحسن السعدون رسالة إلى الملك فيصل الأول شكا فيها الحالة

ذاكرة
العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

السياسية المرتبكة داخل المجلس النيابي قائلاً : " أعرض على جلالتكم بمزيد الأسف ان الحالة الروحية في المجلس ليست مرضية، فأن القسم الأعظم منهم يجهل وضعيتنا السياسية والإدارية والقسم الثاني أعني قسم المخالفين، بالرغم من وقوفه على الحالة الراهنة، يميل إلى المشاغبة ويعرقل مساعي الحكومة إلى درجة تبعث على التأثر مع أن أكثرية الشعب راضية عن سير الإدارة الحاضرة ومستاءة من أعمال المشاغبين في المجلس. وقد سعى بعض أعضاء "حزب التقدم" لإسقاط وزيري العدلية والمالية وأصروا على ذلك، لكنني لم أوافقهم على فكرتهم هذه، لكونهم لم يحددوا أسباباً وجيهة ولم يعدُ فهمهم لهذه المطاليب إلا الانفعالات والتأثرات الشخصية، أما رؤوساء الحركة في الحزب فهم رشيد عالي الكيلاني رئيس المجلس والحاج عبد المحسن شلاش نائب الرئيس وبعد مذاكراتي معهم ورجائي منهم تركوا تشبثهم هذا لوقت آخر، على أني لست قانعاً بأنهم تاركو فكرتهم هذه لمدة طويلة".

والملفت للنظر، أن التحليل الذي قدمه التقرير السري نصف الشهري لدائرة المندوب السامي البريطاني ببغداد حول أسباب هاتين الهزيمتين لحكومة السعدون ليس مقنعاً، فقد ذكر أن نواب "حزب التقدم"، لم يكونوا حاضرين في الجلسة بعدد كاف، لأن مجموعة صغيرة من النواب لم تكن مقتنعة أساساً بالشخصيات التي تكون منها الوفد، وأوضح ان الهزيمة الثانية تعود إلى خطأ تكتكي من وزير المالية رؤوف الجادرجي الذي طلب تجاوز اللجنة المالية، مما أثار امتعاض أعضائها وصوتوا ضد الميزانية، إلا أن هذه الأسباب والعوامل الحقيقية لم تكن وراء هزيمة حكومة السعدون فالقضية تكمن في تشكيلة حزب الحكومة نفسه، فالعديد من النواب قد تركوا الحزب لعدم حصولهم على مكاسب مقابل انضماهم إلى "حزب التقدم" مثل التعيينات الوزارية والأعفاء من الضرائب وما شابهها من الامتيازات الأخرى، وعلى سبيل المثال فأن وفداً من شيوخ العشائر يقودهم عضوين من الهيئة الإدارية لـ"حزب التقدم" هما محسن أبو طبيخ وكاطع العوادي، قد أعربوا إلى المندوب السامي عند مقابلتهم له يوم ٣١ تشرين الأول ١٩٢٥، عن عدم قناعتهم بحزبهم "التقدم" واستيائهم ورغبتهم في تشكيل حزب جديد، بعد أن وجدوا أن دعمهم للحزب قد استغل فقط من قبل الوزراء لمصالحهم الشخصية، وأنهم مستمرين في الاعيبهم التي جعلت رجال العشائر ضد شيوخهم.

وتأكيداً لذلك، ما أشارت إليه أحدى الوثائق البريطانية من وجود دلائل على ضعف "حزب التقدم" أدت الى ظهور بوادر الانقسام والانشقاق الاخير لبعض أعضاء "حزب التقدم" ونشر الدعاية ضدهُ، متهمين رئيس الحزب عبد المحسن السعدون بأنه يتعامل معهم بأسلوب أوتوقراطي متعالٍ ،بينما يتعامل بأسلوب متذلل مع مقر المندوب السامي والبلاط الملكي ، فضلاً عن اتهامهم لمعتمد "حزب التقدم" أرشد العمري ،بأنه كان يملئ عليهم مايجب عمله املاءً،فلم يرق لهم ذلك ان يكونوا آلة صماء بيد رئيس الحزب ومعتمده حسب قولهم .

ومن الجدير بالذكر، أن الأحزاب المعارضة كان لها دور كبير في إضعاف "حزب التقدم"، ولاسيما حزب ياسين الهاشمي "حزب الشعب"، فضلاً عن ظهور تكتل نيابي معارض داخل المجلس النيابي عرف بـ"كتلة الوسط" بزعامة رشيد عالي الكيلاني، وقد ضم هذا التكتل عدداً من النواب المستقلين، ممن اتسمت مواقفهم بالتذبذب، تارة مع الحكومة، وأخرى مع المعارضة حسبما اقتضته مصالحه، أو في ضوء التطورات المتلاحقة على الساحة السياسية إذ أن أول إشارة وردت إلى اجتماع هذه الكتلة في ١٠ أيار ١٩٢٦، أي بعد حادثة المشادة بين رشيد عالي الكيلاني وصبيح نشأت أحد أعضاء "حزب التقدم" بيومين، وهذا يعني أن "كتلة الوسط" كانت موجودة قبل هذه الحادثة.

ومن الضروري الاشارة إلى، أن الكيلاني استطاع بلباقة لسانه المعروفة ان يميل إلى صفه بعض أعضاء "حزب التقدم" بحملهم على تقديم استقالاتهم من الحزب المذكور، والانضمام إلى كتلة الوسط التي كونها على حساب "حزب التقدم"، مما أدى إلى انشقاق داخل "حزب التقدم" نفسه، واستطاعت كتلته "كتلة الوسط" بعد ذلك أن تغير في ميزان القوى داخل المجلس النيابي، ما أدى ذلك إلى فوزه بالانتخابات النيابية في ٢تشرين الثاني ١٩٢٦،بدعم من الملك فيصل الاول على حساب مرشح "حزب التقدم" حكمت سليمان، التي تعد"الهزيمة الثالثة "لـ"حزب التقدم"،والتي إثرها قدم عبد المحسن السعدون استقالة وزارته احتجاجاًعلى ذلك.

بعد انتحار عبد المحسن السعدون في مساء ١٣ تشرين الأول ١٩٢٩، انتهت حياة حزب التقدم كقوة سياسية لما كان يتمتع به زعيمه السعدون، من هيبة واحترام من قبل أعضاء الحزب، ولذلك فأن ضعف النشاط السياسي لـ"حزب التقدم" من بعد غياب قيادته له كانت تحصيل حاصل.

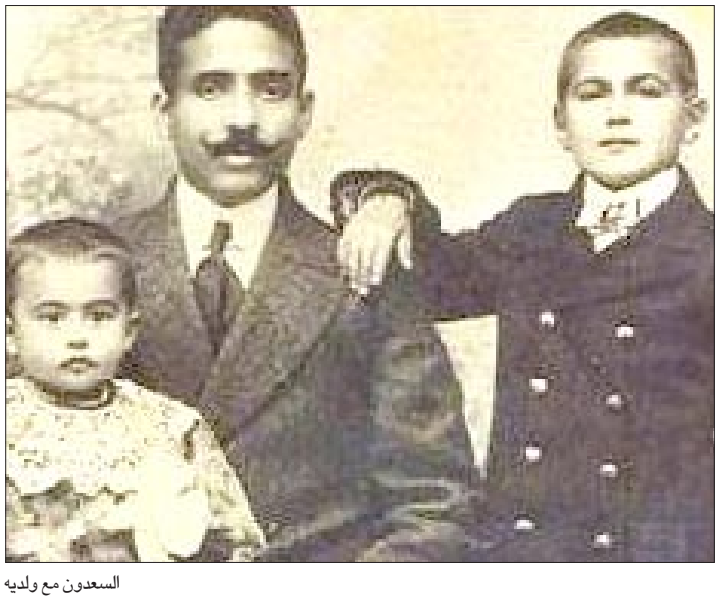

السعدون مع ولديه

وعلى أية حال، قرر أعضاء "حزب التقدم"، انتخاب الرجل الثاني في الحزب، ناجي السويدي، الذي ازدادت في عهد رئاسته للحزب الانشقاقات والخلافات داخل جسد الحزب، وتذمر العديد من أعضاء الحزب لقيادته له ووصفهم لأدائه بالضعيف،على الرغم من تظاهر أعضاء الحزب بالتكاتف والثبات على مبدأ وصية السعدون إلى ولده ، التي عدوها ميثاقاً سياسياً للحزب، ولاسيما أن جماعة من أعضاء الحزب المتمردين وجماعة من المعارضين شكلوا كتلة معارضة قوية ضد وزارة ناجي السويدي.

ونتيجة لذلك، وفضلاً عن خلافاته مع دار الاعتماد البريطاني، قرر ناجي السويدي، اعلان استقالة وزارته في ٩ آذار ١٩٣٠،ومن ثم تركه لـ"حزب التقدم"، مما أدى كما أشرنا سابقاً إلى أن يكون ذلك سبباً آخر لانحلال "حزب التقدم"، إكمالاً لما حل بالحزب بعد انتحار مؤسسه عبد المحسن السعدون، فقد انقسمت الهيئة العامة للحزب ما بين مؤيد لإبقاء الحزب والاستمرار في العمل السياسي، وبين محبذ لإنهاء أعمال الحزب ووقفها.

وهذا ما أكده، نوري السعيد بعد ذلك قائلاً : " يعلم الكثيرون حق العلم بأن هذا الحزب قد انشق على نفسه على أثر وفاة زعيمه المرحوم عبد المحسن السعدون. لذلك أشك كثيراً في أن باستطاعة أي شخص آخر ان يقود الحزب. وقد تجلى هذا الانشقاق في عهد وزارة ناجي السويدي السابقة التي كانت مؤلفة من كل أعضاء الوزارة السعدونية السابقة ما عدا المرحوم عبد المحسن".

وبعد أن شكل نوري السعيد وزارته الأولى في ١١ آذار ١٩٣٠، حاول توجيه ضربة قاضية إلى "حزب التقدم" بمحاولته حل المجلس النيابي من أجل إنهاء سيطرة "حزب التقدم"، على مجلس النواب العراقي، وقد نجح في ذلك، عندما أقنع الملك فيصل الأول بإصدار إرادة ملكية بحل المجلس النيابي فكان ذلك اشبه برصاصة الرحمة في جسد "حزب التقدم" السياسي.

فضلاً عن ان نوري السعيد، أحد أركان "حزب التقدم" سابقاً، بعد تأسيسه لحزب حكومي جديد، في ١٤ تشرين الاول ١٩٣٠،أطلق عليه اسم"حزب العهد"، استطاع أن يجذب الكثير من أعضاء "حزب التقدم" لحزبه الجديد، مما أسهم في إضعاف الحزب وقلة مردوداته.

وحاول توفيق السويدي لم شمل "حزب التقدم"، واستحصل بذلك موافقة وزارة الداخلية في ١٤ كانون الأول ١٩٣٠، إلا أن الملك فيصل الأول، كما أشرنا سابقا وعلى ما يبدو، كان جاداً في إنهاء نشاط "حزب التقدم" سياسيا، لأنه أقنع توفيق السويدي بقبول وظيفة وزير مفوض في طهران، وبعدها قرر ترك رئاسة الحزب.

ولم يعد لـ"حزب التقدم" وجود حقيقي في الحياة السياسية، ولم يعد له ذكر، ولاسيما في عهد رئاسة عبد العزيز القصاب للحزب، سوى ما قام به من نشاطين سياسيين مذكورين آنفاً.

ويجب الاشارة في ختام هذا المبحث، إلى أن نشاط "حزب التقدم" وفعاليته، حينما كان عبد المحسن السعدون موجوداً، هو غيره بعد أن غاب الرجل عن الساحة الفعلية. جراء ما يتمتع به من احترام وهيبة ومحبة من قبل أعضاء الحزب وجمهوره، ولذلك فأن غياب "حزب التقدم" في بداية الثلاثينيات، تحصيل حاصل بعد غياب قيادته الرئيسة والفعالة في النشاط .

ومن الجدير بالذكر، ان المصادر التاريخية اختلفت في تحديد المدة الزمنية لنهاية الحزب، إلا أن أحدى وثائق وزارة الداخلية، أشارت إلى أن الحزب كان موجوداً ضمن تسلسل الاحزاب والجمعيات المجازة في العاصمة بغداد في ٢ أيلول ١٩٣١، وذلك حسب الجرد القانوني التي قامت به وزارة الداخلية العراقية .

العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

بائع اللحم متنقل في العهد الملكي

عدسة زادة عراقية

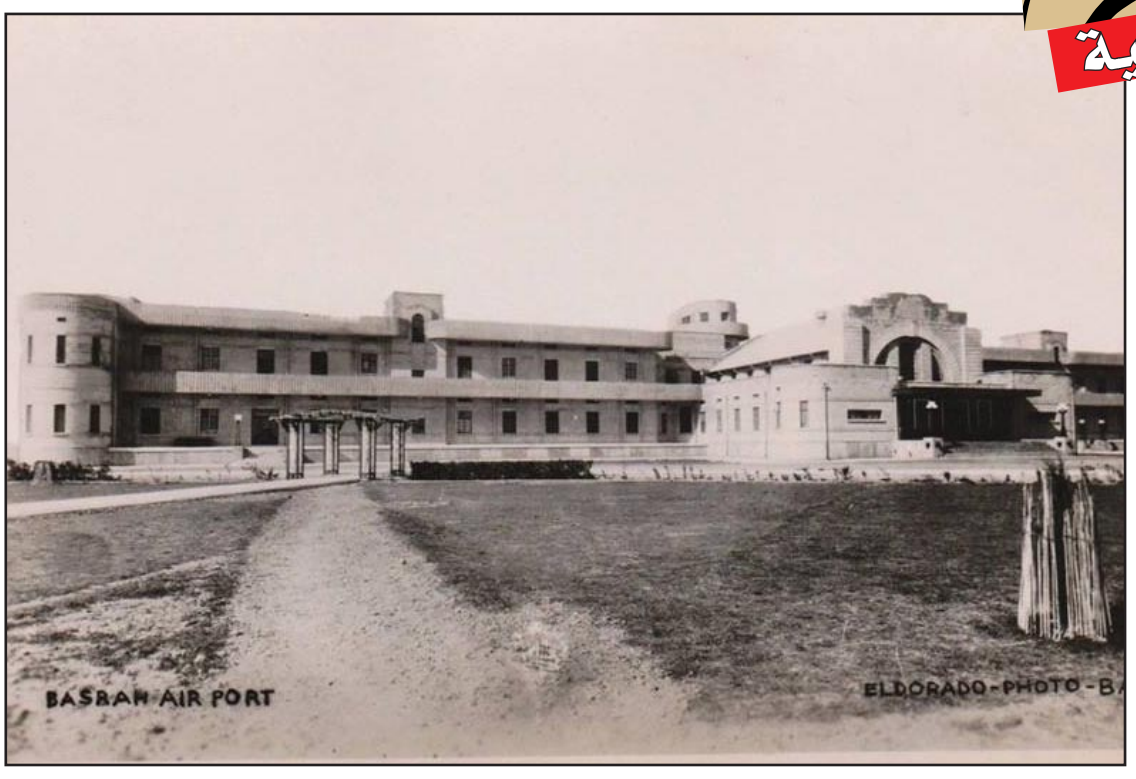

مطار البصرة في بداية الخمسينات

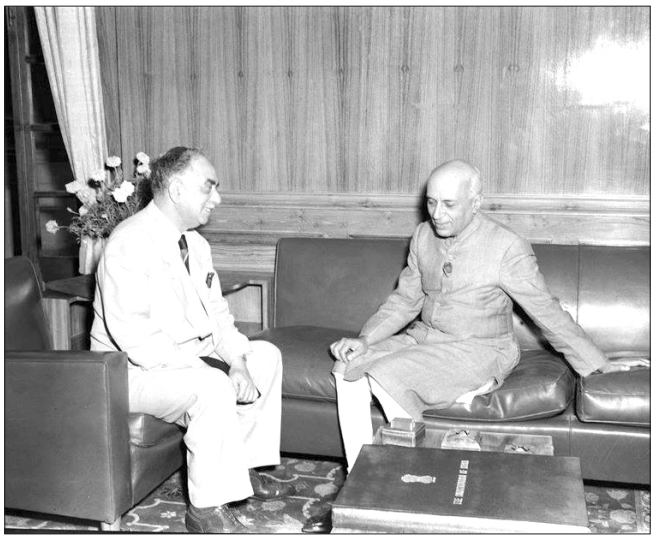

نوري السعيد مع جواهر ال نهرو

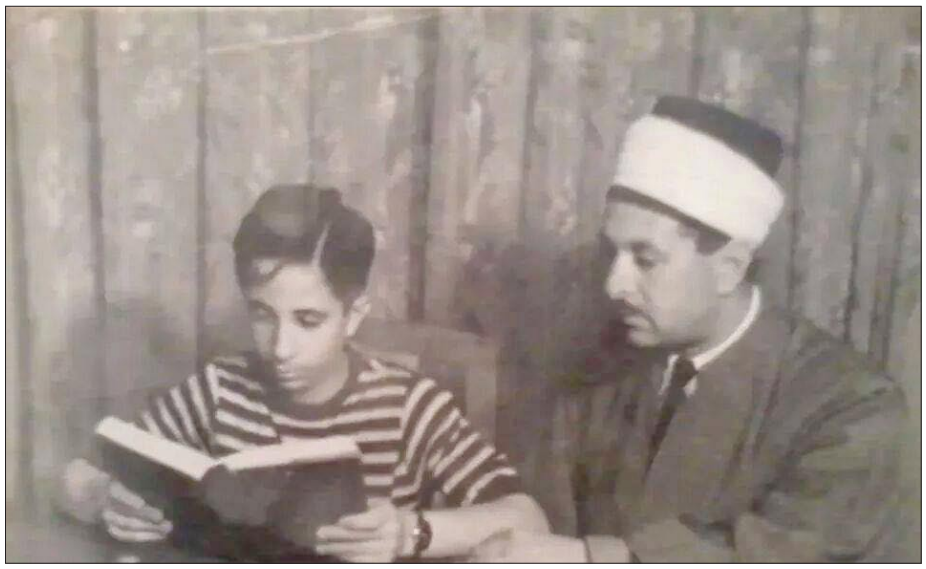

وهنا يتتلمذ على يد الشيخ عبدالله الشيخلي

الملك فيصل الثاني يتتلمذ على يد الدكتور مصطفى جواد

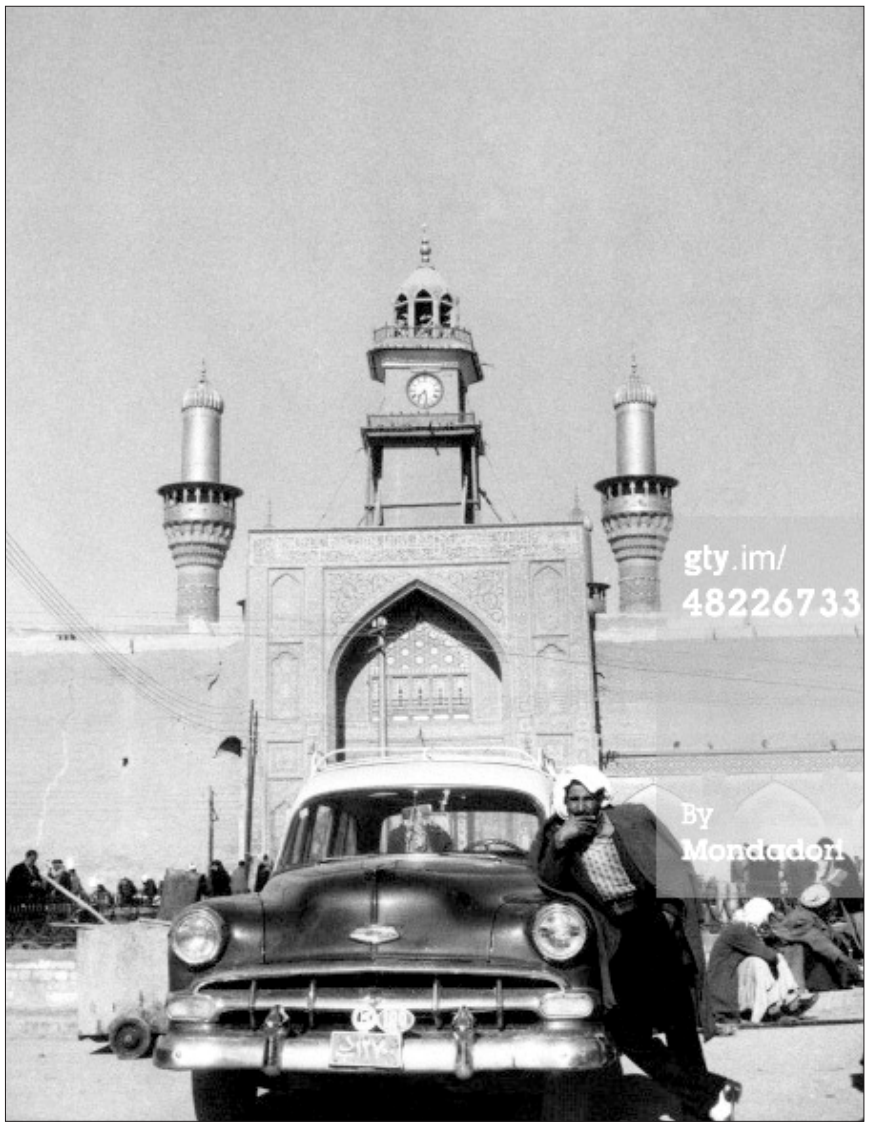

سيارة واقفة اما مرقد الامام موسى الكاظم عام ١٩٥٦

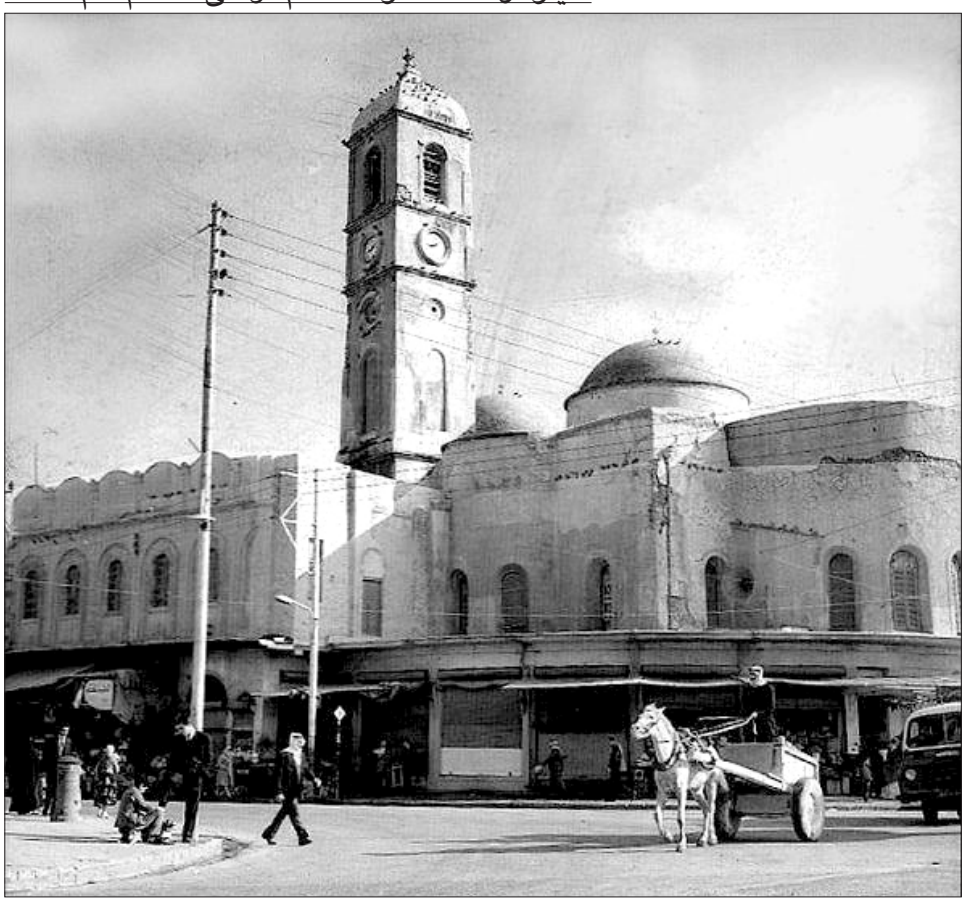

كنيسة اللاتين في الموصل ١٩٤٠

عمارة توما بداية شارع غازي في الخمسينات

العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

الوصي على العرش في البصرة سنة 1941 يدير الحملة لاسقاط وزارة الكيلاني

■ د. سامي عبد الحافظ القيسي

باحث ومؤرخ

لقد تم في عام ١٩٣٠ التوقيع على المعاهدة العراقية البريطانية والتي امنت من خلالها بريطانيا على مصالحها الحيوية في العراق ، حيث احتفظت بقاعدتين عسكريتين احدهما في الشعيبة في البصرة والاخرى في الحبانية .

وخلال الحرب العالمية الثانية اصبحت البصرة والقواعد الجوية الملحقة بها ذات اهمية استثنائية لعدم بريطانيا وتقديم الاسناد لعملياتها العسكرية ضد دول المحور ، وقد تعززت الاهمية الاستراتيجية للبصرة بشكل اكبر في خطط الحرب البريطانية بعد دخول ايطاليا الحرب في حزيران ١٩٤٠ الى جانب المانيا وبعد فقدان الجزيرة كريت ، وقد اعتبرت مؤسسات القيادة العسكرية البريطانية مدينة البصرة تعويضاً استراتيجياً عن جزيرة كريت وبالتالي لا بد من احتلالها والسيطرة عليها .

الامير عبد الاله ونوري السعيد

وكان رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل قد اشار الى هذه الحقيقة بقوله : (لقد تدهور الوضع في العراق وبات من واجبنا الاحتفاظ بالبصرة لتأسيس قاعدة لتجميع القوات والامدادت والتعزيزات ، وان نراقب الميناء وحركة البواخر المحافظة على بترول ايران ، ان مثل هذه الخطوة تعد حيوية ومهمة بسبب اتجاه الحرب شرقاً والذي لم يعد موضع شك) .

ولأجل تأسيس مثل هذه القاعدة في مدينة البصرة ومراقبة الميناء كثر خلال هذه الفترة توافد البواخر الحربية البريطانية للمياه العراقية ، واول مجوعة وصلت وبدون عدم السلطات الرسمية في البصرة باخرتان حمولة كل منها ٢٦٥ طن ، وقد احتج المتصرف على دخول هذه البواخر دون عدم السلطات المتصرفية ، فأجابه القنصل البريطاني في البصرة بأن الدوائر الرسمية في بغداد على علم بذلك عبر المراسلات الدبلوماسية .

وفي ١٠ نيسان ١٩٤١ إتصل القنصل البريطاني في البصرة بوكيل المتصرف صالح حمام واعلمه بوصول فرقة من القوات الهندية بضمنها مجاميع من فوج بريطاني محمولة على ظهر قافلة مؤلفة من ثلاث بواخر حربية تحرسها طرادتان مع ثلاث طائرات مائية وانها ستصل المياه العراقية خلال ٤٨ ساعة .

وكانت مديرة الميناء التي يهيمن عليها الموظفون البريطانيون ويرأسها المستمر وارد قد أوعزت الى طاقم احد سفنها باستقبال القافلة المذكورة وتأمين وصولها الى شط العرب ، لم تكتف السلطات البريطانية بذلك ، اذا اخبر القنصل البريطاني وكيل المتصرف بمجيء باخرة رابعة تدعى أميرلدا ، وقد وصلت يوم ١٣ نيسان ١٩٤١ ورست في شط العرب امام دائرة الكمرك بالعشار . .

ومما هو جديد بالذكر ان تجمع هذه البواخر في المياه الاقليمية العراقية قد ساعد على سريان الاشاعات في البصرة والتي مفادها ان هذا الوجود العسكري البريطاني ما هو الا قدمه للسيطرة على البصرة لاتخاذها قاعدة لهم ومن ثم اتمام السيطرة على العراق ، ومما ساعد تعزيز قوة هذه الاشاعات ما حصل من تسخير مستلزمات الميناء كالادلاء والزوارق والموظفين لخدمة متطلبات هذه البواخر وافرادها . كذلك قدمت الشركات الاجنبية في البصرة كشركة بيت الوكيل وشركة كري مكنزي وشركة نفط البصرة لخدمات ومستلزمات الضرورية لهذه البواخر .

ومما لا شك فيه ان وصول هذه البواخر الحربية وتجمعها في المياه العراقية انما يدل دلالة واضحة على خطط بريطانية وما تبيته لهيبها الى قارات اخرى ، وأصبحت اجزاء من وطننا العربي ساحات حرب لعملياتها ، وقد اكتوى العراق بها عبر الصراع العسكري المسلح بين الجيش العراقي والجيش البريطاني .

كان نوري السعيد رئيساً للوزارة العراقية عند اندلاع الحرب وبادر فور قيامها باعلان تأييده لبريطانيا ، كما ارسل عبد الاله الوصي على عرش العراق برقية الى ملك بريطانيا تمنى فيها (النصر لبريطانيا وحليفاتها) وفضلاً عن ذلك قطعت الحكومة العراقية علاقاتها الدبلوماسية مع المانيا وسلمت الرعايا الالمان الى السلطات البريطانية تمهيداً لاعتقالهم ، وأمرت بطرد السفير الالماني من بغداد وطلبت اليه مغادرة الاراضي العراقية مع اعضاء البعثة الدبلوماسية الالمانية .

الا ان هذه الاجراءات الحكومية لم تلق قبولاً حسناً الرأي العام السابق الذي كان يتمنى خسارة بريطانيا وفرنسا في الحرب ، والسبب في ذلك يكمن في السياسة التي كانت تنتهجها بريطانيا في فلسطين عبر تحالفها مع الحركة الصهيونية ضد الطموحات العربية في الاراضي الفلسطينية ، اما بالنسبة لفرنسا فكانت سياستها الاستعمارية هي الاخرى في كل من سوريا ولبنان وفي بلدان المغرب العربي سبباً مباشراً في إستياء العراقيين وحقدهم عليها .

وفي وسط هذه الظروف السياسية البالغة التعقيد اغتيل رستم حيدر وزير المالية في وزارة نوري السعيد والذي كان من اكثر اعضاء الوزارة اخلاصاً لرئيسها وكان الاختلاف حول الاسلوب الذي من خلاله عالج نوري السعيد قضية إلاقتيال قد اضعفت الوزارة ، كما زادها من اضعافها الاختلافات التي طعنت على السطح حول السياسة الخارجية للعراق والموقف من قضية الحرب ، لذا قدم استقالة وزارته في ١٨ شباط ١٩٤٠ ، الا ان الوصي طلب منه تشكيل وزارة جديدة إستمرت في مسؤولتها لمدة خمس أسابيع أضطر في نهايتها الى التنحي عن المسؤلية الوزارية

وفي اعقاب ذلك تشكلت وزارة جديدة رأسها رشيد عالي الكيلاني في ٣٠ اذار ١٩٤٠ والتي دخل فيها نوري السعيد وزير الخارجية املاً في إقناع الوزارة المذكورة بتبني خططه في للعراق ، هذا فضلاً على ان تلك البواخر ستكون فيما بعد مكاناً لتجمع البريطانيين الذي سيتم اجلاوهم عن العراق ومقراً مؤقتاً لايواء الوصي عبد الاله بعد هروبه الى البصرة . .

اما ردود فعل الحكومة العراقية بشكل خاص فلم تعدد الاحتجاجات الرسمية والتي لم يكن لها تأثير ، اما الاهالي في البصرة فكانت اراؤهم ضد وجود هذه البواخر ، وكان على ثقة ان بقاءها لا تحمد عقباه ، كما ان اخطارها ستظهر آجلاً أو عاجلاً .

الازمة الوزارية في بغداد ولجوء الوصي عبد الاله الى البصرة

كانت الحرب العالمية الثانية قد نشبت في ايلول ١٩٣٩ على اثر مهاجمة المانيا لبولندة ووقوف من بريطانيا وفرنسا الى جانب الاخيرة واعلانها الحرب على المانيا ، ولم تلك الحرب قد انحصرت آثارها في اوربا بل امتد

مجال السياسة الخارجة .

ارادت الحكومة البريطانية معرفة حقيقة موقف الوزارة من العسكريين المتحاربين وطلب منها قطع علاقات العراق الدبلوماسية مع ايطاليا اولاً ، ووضع حد للكتابات المعادية للحلفاء وقضيتهم في الصحافة العراقية ثانياً ، وتنفيذ الالتزامات المرتبة على العراق بموجب معاهدة ١٩٣٠ بين العراق وبريطانيا ثالثاً

الا ان الوزارة الكيلانية لم ترفض المطاليب البريطانية فقط ، وانما اثرت الالتزام بسياسة الحياد وتجنيب العراق ويلات الحرب ، وصاغت موقفها هذا عبر مجموعة من المباديء ابلغتها في حنينها الى السفير البريطاني في بغداد وقد كان للمفتي الحاج امين الدين الحسيني وهو من فلسطين التي اتخذ من بغداد مقراً له . والعقداء الاربعة وهم صلاح الدين الصباغ ، وفهمي سعيد ، وكان شبيب ، ومحمود سلمان ، وعناصر قومية اخرى وعسكرية ومدينة دوراً كبيراً في دفع الوزارة الكيلانية لاتخاذ ذلك الموقف

الا ان وقف الوزارة الكيلانية هذا اثار استياء بريطانيا واستياء العناصر المحسوبة عليها وعلى مقدمتهم الوصي ونوري السعيد وعناصر سياسة تقليدية اخرى ، لذا شرعت بريطانيا باعادة العدة لتنحيه رشيد عالي الكيلاني من رئاسة الوزارة بعد ان تبين لها ان الوزارة المذكورة قد تبنت خطاً سياساً لارجعه فيه وعناصره الاساسية هي :

١ . الوقوف على الحياد وتجنيب العراق ويلات الحرب

٢ . تحقيق الاستقلال لكل من سوريا وفلسطين

٣ . تسليح الجيش العراقي وتزويده بالاسلحة والمعدات الحديثة

رفض الكيلاني في بداية الامر الاستقالة الا ان رفضه لم يطل بسبب فرار الوصي الى الديوانية بعد ان طلب منه الكيلاني واستصداره الادارة الملكية بحل المجلس النيابي ، لذا تشكل وضع خطير اضطر معه الكيلاني الى الاستقالة محملاً الوصي المسوؤلية الكاملة متهماً اياه بالخضوع الى الرغبات الاجنبية

وبعد استقالة الكيلاني الف طه الهاشمي الوزارة الجديدة الاول من اشباط ١٩٤١ ، الا ان هذه الوزارة الجديدة فشلت هي الاخرى في التوفيف بين قادة الجيش والساسة المناهضين لبريطانيا من جهة وبين الوصي ونوري السعيد وجناحهم الموالي لبريطانيا من جهة اخرى

كما ان بعض قرارات المتعلقة بتخليص نفوذ العقداء الاربعة تولد معها ازمة إنعدام الثقة بين رئيس الوزراء وقادة الجيش الذي اصبحوا هم القوة المسيطرة على زمام الموقف ، لذا اجبروا طه الهاشمي على الاستقالة ، الا ان الوصي رفض قبولها واستطاع الهروب مرة ثانية الى الحبانية ومنها الى البصرة ليقود منها الحركة المضادة للوضع الجديد

كان الهروب الوصي قد دفع قادة الجيش الى اتخاذ خطوة جريئة بتشكيل حكومة تتولى مسؤولية الحكم عرفت باسم الدفاع الوطني برئاسة رشيد عالي الكيلاني في ٣ نيسان ١٩٤١ ، وفي مساء اليوم نفسه اذاع رئيس اركان الدولة امين زكي بياناً على الشعب العراقي اتهم فيه الوصي بارتكابه لمجموعة من المخالفات ، وأعقبه رشيد عالي الكيلاني بيان آخر الاسباب الذي دعته التي تحمل المسؤولية كواجب وطني ، وان منهاجه في الحكم استمراراً لمنهاج وزارته الاخيرة ، كما دعا الشعب الى مؤازرة حكومته وتاييدها

لماذا اختار الوصي مدينة البصرة من دون غيرها من المدن العراقية هروبه من بغداد :

١ . لانها المدينة الثانية بعد بغداد ولانها ميناء العراق الوحيد وتقع على الخليج العربي الذي هو من ضمن مناطق النفوذ البريطاني .

٢ . لانه كان مقتنعاً بأن الوجود العسكري البريطاني في البصرة سيدعمه عند يقوم بحركة مضادة لحكومة الدفاع الوطني .

٣ . لان في البصرة متصرفاً هو صالح جبر مشهوراً في دعمه وتاتييده للوصي ولسياسته.

على اية حال نقل الوصي ومرافقوه وهم من كل علي جودت الايوبي وجميل المدفعي والنقيب عبيد عبد الله المضايفي من الحبانية الى القاعدة البريطانية في الشعيبة ومنها بعد ذلك الى فندق شط العرب في المعقل مساء يوم ٣ نيسان ١٩٤١ .

وفي الفندق المذكور كان المتصرف صالح جبر او من حضرة زيارته والالتقاء به ، كما جاء لمقابلته كل من قائد قوات شط العرب احمد رشدي وآمر حامية البصرة العقيد رشيد جودت ، اما من البريطانيين فقد زاره كل من قائد القوة الجوية البريطانية في قاعدة الشعيبة والمستر وارد مدير الميناء والكابتن ملينك ضابط الاستخبارات في القنصلية البريطانية في البصرة .

وخلال المباحثات التي جرت بين الوصي وبين قادة الجيش في البصرة طلب من آمر حامية البصرة اعداد قواته للتوجه نحو بغداد من اجل القضاء على حكومة الدفاع الوطني ، كما اخبره بأن هناك قوات بريطانية كثيرة مزودة بالسلحة والمعدات ستنضم اليه عند التوجه نحو بغداد .

ومما تجدر الاشارة اليه ان العقيد رشيد جودت قد تسلم في الوقت نفسه برقية من رئاسة اركان الجيش تطلب منه ضرورة السيطرة على الموقف ، لذا انعقد مؤتمر عسكري حضره قادة البصرة من آمري الافواج والوحدات والتشكيلات العسكرية واتخذوا ما يلي من القرارات :

١ . رفض التقدم نحو بغداد مهما كانت للاسباب .

٢ . عدم جعل البلاد ساحة قتال والدخول في صراعات داخلية كما حدث في اسبانيا .

٣ . تعتبر رئاسة اركان الجيش المصدر القيادي الاعلى لاصدار الاوامر ولذلك وجب تنفيذ ما يصدر عنها .

٤ . عدم السماح للقوات البريطانية بالانزال في البصرة الا بعد استحصال موافقة رئاسة اركان الجيش .

٥ . رفض تشكيل حكومة او ادارة مدينة كانت او عسكرية في البصرة باعتبار ذلك ضد الحكومة الشرعية في بغداد .

٦ . المحافظة على حياة الوصي .

وهذا الموقف ان دل على شيء فأنما يدل عل ان القادة العسكريين رغم عملهم بقوة الانكليز ودعمهم للوصي ، الا ان ايمانهم العميق بوطنيتهم دفعهم لاتخاذ تلك الاجراءات من اجل دعم الحكومة الشرعية في بغداد .

اضافة الى ما تقدم فأن قادة الجيش في اجتماع آخر عقدوه في مقر اللواء في الجبيلة قرروا فرض السيطرة على وسائل الاتصالات الهاتفية ومراقبة المتصرف والمقربين منه ومنعهم من الاتصال باي جهة كانت ، وكذلك مصادرة البيانات المعدة للنشر من قبل الوصي واخضاع جميع الدائر والمؤسسات ومراكز الشرطة الى سيطرة مقر الحامية .

وهكذا فشلت جميع محاولات الوصي لشق الجيش على نفسه والتأثير على حامية البصرة ودفع ضابطه لاتخاذ موقف مناوىء لحكومة الدفاع الوطني .

في يوم الجمعة المرافق ٤ نيسان ١٩٤١ وصلت برقيتان الى البصرة ، الاولى من رشيد عالي الكيلاني بصفته لحكومة الدفاع الوطني ومعنونة الى متصرف البصرة يعلمه فيها بقرار عزله .

اما الثانية فقد وردت من رئاسة اركان الجيش الى آمر الحامية في البصرة تتضمن القاء القبض على المتصرف صالح جبر وارساله مخفوراً الى بغداد .

وعلى اثر ذلك وضع حرس خاص حول المتصرف واقتيد بحراسة ضابط برتبة رئيس الى بغداد ، وفي العاصمة بقي رهن التوقيف لمدة عشرة ايام انتهت بفصله عن الخدمة لمدة خمس سنوات والسماح له بالذهاب الى ايران حسب رغبته .

ثم وصلت الى البصرة بعد ظهر يوم الجمعة ٤ نيسان ١٩٤١ برقية اخرى من رئاسة اركان الجيش تقضي بمنع الوصي عبد الاله من الاتصال من اي جهة كانت ، وقد طلب آمر الحاميه من مقدم لوائه عامر حسك بتنفيذ مضمون البرقية ، وقد اخذ الاخير ثلة من عشرين جندياً وذهب بهم الى فندق شط العرب في الوقت الذي قطعت فيه خطوط الهاتف عن الفندق ، الا انه عند وصوله الى الفندق لم يجد الوصي ، اذا غادره الى جهة مجهولة بعد ان علمت دوائر الاستخبارات البريطانية بمضمون برقية رئاسة اركان الجيش .

ويبدوا واضحاً ان الوصي كان قد اصبح موقفه صعباً بعد وصول برقية رئاسة اركان الجيش التي تقضي بمنعه من الاتصال بالخارج ، كما اشارت بعض تقارير مديرية شرطة البصرة بأن قطع خطوط الهاتفية من القاء القبض على المتصرف وسوقه الى بغداد قد اثارت استياءه واستياء مرافقيه لذا قرروا ترك فندق شط العرب وتوجهوا بصبحة الكولونيل وارد مدير المياه الى مقر القوة الجوية في المنطقة الشعبية ، ومن هناك تم الاتفاق على نقلهم الى الدارعة البريطانية (كوك شبير) الراسية في شط العرب .

وعندما وصلت انباء لجوء الوصي الى الدارعة البريطانية المذكورة عقد مجلس الدفاع الوطني اجتماعاً برئاسة الكيلاني واتخذ خلاله القرارات التالية :

١ . تقديم مذكرة الى الحكومة البريطانية تقضي بعدم التدخل في شؤون العراق الداخلية .

٢ . إيفاد قوة اضافية لتعزيز حامية البصرة .

٣ . إطلاق الحرية للوصي على ان لا يسمح له بالاتصال مع العشائر ، على اية حال بدأ الوصي من مقره الجديد محاولاته اليائسة باثارة اهل البصرة ضد حكومة الدفاع الوطني عبر سلسة من الحملات الدعائية ضدها ، فقد اذاع بيان في ٤ نيسان ١٩٤١ على الشعب العراقي طلب فيه من الجيش والشعب القيام بحملة اسقاط لحكومة رشيد عالي الكيلاني ، الا ان هذا البيان وغيره من البيانات الاخرى لم تؤثر على مشاعر الجماهير واخلاصها ولم يكن هناك اي تجاوب معه ، وقد وصلت بريطانيا والوصي الى قناعه مفادها انهما قد فشلا في كسب العطف والتأييد سواء من اهالي البصرة او من سكان المناطق الجنوبية فضلاً عن القيادات والتجمعات العسكرية المرابطة هناك .

وقد ارسلت متصرفية لواء البصرة تقريراً مفصلاً الى وزارة الداخلية اوضحت فيه هدوء الحالة العامة في البصرة وان الجماهير البصرية تساهم بكل قواها لتأييد ودعم حكومة الدفاع الوطني ، كما ان الاجراءات المراقبة والامن الحازمة التي اتخذت من لدن الجيش والشرطة قد حالت بين الوصي وبين اتصاله وتأثيره على الاهالي .

لقد دعت حكومة الدفاع الوطني الى عقد اجتماع لمجلس الامة ، وكانت وزارة الداخلية قد ارس قد ارسل برقية بهذا الخصوص الى المحافظات كافة ومنها البصرة ، وقد حضر الى بغداد مندوبو البصرة وهم كل من الشيخ صالح باشا اعيان ومحمود النعمة والسيد حامد النقيب وعبود الملاك ومصطفى الحاج طه السلمان ومحمد سعيد العبد الواحد ، وعند اجتماع المجلس تقرر بالاجماع تنحية عبد الاله من وصاية العرش وتنصيب الشريف الشرف مكانه .

وعلى ضوء هذه التغيرات أبرقت وزارة الداخلية الى متصرفية البصرة تعليمات تتضمن اقامة معالم الزينة في كافة الدوائر الحكومية وفي الشوارع الرئيسية وعلى شرفات المنازل والدور ، وكانت الاستجابة من جماهير البصرة كبيرة في التعبير عن تأييدهم لهذه التغيرات .

وعلى اثر ذلك عمل الانكليز على اثارة اهل البصرة واستفزازهم عبر بعض النشاطات والاعمال ، منها سبيل المثال لقطعات الجيش العراقي المرابطة في البصرة خلال بعض النشاطات التي قصد من ورائها التحدي والتهديد ، كما ان المصفحات العسكرية البريطانية كانت تمر بين البصرة والعشار باستمرار وبدون التقيد بمشاعر الناس ومواقفهم ، كذلك قامت الطائرات البريطانية بعمليات استطلاع جوية خلال ساعات الليل والنهار فوق قطاعات الجيش العراقي المرابطة في البصرة .

رشيد عالي الكيلاني

ذاكرة
العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

فيصل الاول ومعاهدة 1926 ؟

■ د. كاظم نعمة

يعد تأسيس الحكومة الوطنية المؤقتة في تشرين الثاني ١٩٢٠ الخطوة الأولى في طريق خلق نظام دائم . وفي ١٦ تموز ١٩٢٥ أصبح النظام ملكية دستورية . ومع أن الإدارة الوطنية قد حققت بعض التقدم ، إلا انه من الصعوبة يمكن الزعم أنها في ١٩٢٥ كانت قد أفلحت في طبع وجودها عبر البلاد كافة . فالمناطق الكردية كانت تدار بإشراف دار الاعتماد .

وفي المناطق العشائرية لم تجد الإدارة ترحيباً كبيراً. فقد نظر إليها كعلامة للمركزية، والقسر وجباية الضرائب والتدخل في القضايا العشائرية .

ولما كانت الإدارة جهازاً غير كفاء فأنها لم تفلح في إخراج الناس من اللامبالاة . فوجدت تحدياً بصورة عدم الاكتراث الاجتماعي وانقسامات وخلافات عرقية وغيرها . وفي مثل هذه الأوضاع كان دور المستشارين البريطانيين حاجة للإدارة على الرغم أن العراقيين ظنوا أن في وسعهم الاستغناء عن أية استشارة إدارية . وكان وجود المستشارين الإداريين من المنظور الإداري قد عزز قابلية الإدارة على الصمود وأعانها ضد الوهن الكامن فيها ، لكن من الناحية السياسية كانوا دلالة السيطرة البريطانية غير المباشرة .

في تموز ١٩٢٤ وافقت الجمعية التأسيسية على القانون الأساسي . وبعد ذلك بعام اجتمع البرلمان عراقي الأول. ولكي نفهم اداء ووظيفة النظام السياسي العراقي لا بد من عرضه من خلال الأرضية الاجتماعية والعراقية والدينية. لقد انطوى القانون الأساسي نظرياً على النظام التي عالجتها المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم ، ومعاهد ١٩٢٢ والملاحق. وكانت السيادة للشعب. وعهدت إلى الملك (المادة ١٩) وكان المواطنون متساوين أمام القانون بغض النظر عن الفوارق في العراق والدين واللغة (المادة ٦). ويتمتع الملك بسلطات تنفيذية .ويشترك مع البرلمان في الصلاحيات التشريعية. وكانت الحكومة مسؤولة أمام البرلمان .

ولقد أودع مشرعو القانون الأساسي عند قصد صلاحيات واسعة في شخص الملك لا تضاهي ما هو معمول فيه في النظم الغربية. وكان وراء ذلك سببان. أولاً إن البلاد كانت قليلة التجرب والمراس سياسياً للتعامل مع نظام سياسي ليبرالي دستوري. ثانياً، لقد أدرك أن من أجل الحفاظ على قبضة محكمة فوق النظام فان المنتدبة ستمارس مسؤوليتها بكفاءة بإعطاء النصح إلى مركز قوة النظام. ولقد رحب فيصل بهذه التراتيب.

× الفلسفة السياسية لفيصل

ومن المفيد بمكان القول ان فيصل مثل طموحات وأمثولة النظام . وكان مفهومه لدور المشاركين الأساسي . فالقوى السياسية والمؤسسات الدستورية لا تعدو في فلسفة فيصل السياسي سوى أدوات تعينه على نيل هدفه الكبير في اللعبة التي يخوضها . بعبارة أقصر تحقيق قدر أكبر من الاستقلالية من الانتداب. وبالوقت نفسه قنص أكبر حصة من السلطة إلى صالح البلاط في النظام السياسي .

لم يتطلع فيصل إلى علاقته مع بقية الهيئات المؤسساتية من مغزى الحاجة إلى إرشاد وظائفها لخدمة إقامة نظام برلماني ديمقراطي. فكانت المحلة النهائية لهذه النظر والعلاقة أن تعدل المبادئ البرلمانية الغربية لتوائم واقعها الجديد المتمثل في حياة سياسية لمجتمع كان ما يزال مفككاً. ولقد كانت مسؤولية فيصل احتواء مسؤولية دار الاعتماد والقوى السياسية الأخرى في إطار نظام برلماني ملكي أوليغاركي .

وكان البرلمان مكوناً من مجلسين. الأعيان ويتم تعيين أعضائه من قبل الملك ، وعلى أن يمثل نائب كل عشرين ألف ناخب وأكثر . ويتكون مجلس النواب من ثمانية وثمانين نائباً منهم ثمانون مسلماً وأربعة مسيحيين وأربعة من اليهود (وقد جاء في المادة ٦ من قانون الانتخاب أن يكون من الموصل اثنان من المسيحيين وواحد من اليهود ، وواحد مسيحي واثنان من اليهود من بغداد ، وواحد مسيحي وواحد يهودي من البصرة .

لقد كانت سلطات البرلمان مقيدة أولاً من طرف القانون الأساسي ، وثانياً من جراء الأفعال المتداخلة للأطراف السياسية الرئيسية في النظام . ومع أن القيد الأول كان لا مفر منه خشية أن يخترق البرلمان صلاحياته بصورة مضادة لما جاء في نصوص المعاهدة ، فان القيد الثاني ألحق بالنظام السياسي مضاراً فقد عرقلت عملية النظام البرلماني عما كانت ان تكون عليه الحال .

إن تقويماً للدور الذي أداه البرلمان في النظام السياسي يتأتى من فحص الأوضاع السياسية الداخلية . وقياساً من المناقشات والإجراءات ، فإن تجربة البرلمان الأول تتم عن تحقيق تقدم . ولكن مع ذلك فان إقامة المؤسسات البرلمانية لم تضف على النظام استقراراً أو تجعله أكثر ديمقراطية . وهنا لابد لنا من فحص الخلفية الاجتماعية والسياسية والدينية والعرقية للنواب وعلاقتها بدورهم ووظائفهم وأهدافهم . فالانقسام الاجتماعي كان واضحاً في المجلس. فالعشائر مثلت بشيوخها الذين سرعان ما تكونت لهم مصلحة دفينة في النظام وعدوا أنفسهم أصحاب أدوار للدفاع عن أنفسهم وحماية مصالحهم من المركزية .فأصبحوا كتلة صاحبة نفوذ ومصدر تهديد للحكومة على الخصوص وللنظام على الجملة . كما أنهم لم يثقوا بسياسيي بغداد . ولم يكن النواب ممثلين للناخبين في عموم البلاد سياسياً . وكان لذلك عدة أسباب .

أولاً : لم يتقدم النواب المرشحون إلى الناخبين على أسس حزبية معنية أو كدعاة إيديولوجية . ومع ان العراق قد شهد نهوض أحزاب سياسية إلا أنها كانت ملازمة للتطور السياسي في البلاد والمسرح الاقتصادي الاجتماعي . فقبل ١٩٢٥ كانت الأحزاب منهمكة بقضية الانتداب والمعاهدة لذا لم تجد لنفسها برامج اقتصادية واجتماعية، سياسية شاملة . وبعد تأسيس النظام البرلماني برز حزبان رئيسيان ، وآخر ظل يعمل خارج البرلمان . ففي حزيران ١٩٢٦ تأسس حزب لتقدم . وكان يرأسه عبد المحسن السعدون، رئيس الوزراء ، فأصبح الحزب حزب الحكومة صاحبة الأغلبية . وكان أعضاؤه من المعتدلين وشيوخ العشائر في البرلمان . وحزب الشعب أصبح حزب المعارضة وتزعمه ياسين الهاشمي . وقد عمل هذان الحزبان حتى ١٩٣٠ عندما أسس نوري السعيد حزب العهد ليكون حزب الحكومة .

ثانياً: لقد كانت أعمار الأحزاب السياسية العراقية قصيرة . ولم يكن لها غرس مؤسساتي. وكانت تمثل تجمعاً سياسياً عندما يكون في المعارضة وجماعة سلطة عندما تكون في الحكم . وظلت الأحزاب ملاصقة لحركة سريعة أكثر مما هي قاعدة للعمل بين الشعب . وبالتالي ، لم يكن في وسع الأحزاب

العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

الملك علي ووجهاء الجنوب

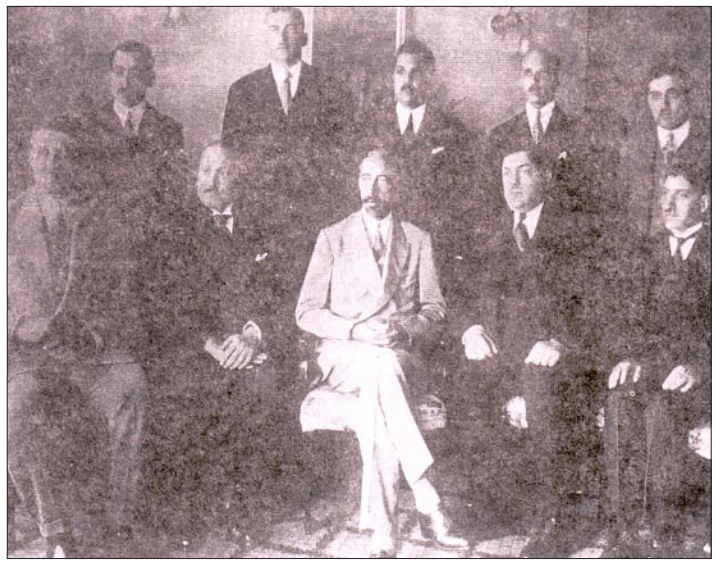

فيصل الاول والوزارة العسكرية

أن تنال تأييداً وشرعية من كونها ممثلة لإيديولوجية أو مصلحة لها قاعدة عريضة. وهكذا، فان الأحزاب التفت على نفسها وحول القادة الذين أصبحوا بؤرة الحزب والمحركين لنشاطاته ومناوراته ولذلك كانت الأحزاب تتبخر بسرعة من الميدان السياسي حالما يضع قادتها مباعدة بينهم وبين حزب معينٍ أوحين يتحقق للحزب أغراضه .

ثالثاً: كانت وظائف الأحزاب في النظام جداً مقيدة. وقد يعزى ذلك إلى وهنها الإيديولوجي والبنيوي ولجهل الناخبين. وباستثناء شريحة من الناخبين فان مفهوم الحزبية والاقتراع والمعارضة وغيرها كان غريباً. ففي مجتمع تقليدي يعبر الناس عن إرادتهم السياسية والاجتماعية بأساليب تختلف عما عليه الحال في النظم السياسية المتقدمة . فالعائلة والعشيرة والطائفية مواطن سلطان إقناعي وقسري، كما أنها تحظى بولاء اجتماعي وسياسي أكبر من الحزب والحكومة والبرلمان ، بل وحتى النظام بأسره . وكانت عملية الاقتراع في نظر أغلبية الناخبين لا تنم عن مشاركة سياسية في تكوين حكومة أو تحديد برنامجها .

لقد منحت هذه الحالة المشاركين الرئيسيين في العملية السياسية مناسبة ممارسة التأثير المقيد المتبادل داخل وخارج الإطار الدستوري . وفي وسعنا أن نشخص نمطين من العلاقة المتبادلة المتداخلة وفقاً لطبيعة المواقف. فعلى صعيد علاقة التعديل الجوهري للمعاهدة ظهرت حالة مجابهة مباشرة بين الاعتماد من جهة والبلاط والحكومة والمعارضة من جهة أخرى. ومع ذلك فان هذه إحالة غالباً ما تأخذ أشكالاً من التكاتف وإعادة التكاتف بين الفرقاء . ولكن في جميع حالات الاصطفاف كانت تحدد طبيعة الموقف بدور دار الاعتماد والبلاط . فقد كانا في الغالب موقفين في تحريك حركات المشاركين الآخرين إما بالضغط المباشر أو بالإقناع أو بالابتزاز . فكان نتيجة ذلك أضعاف النظام السياسي واختراق التقاليد البرلمانية والدستورية والأزمات السياسية وتكرر لجوء البلاط والحكومة والمعارضة إلى المصادر التقليدية للقوة الملازمة لمجتمع مفكك على حساب التعويل على وظائف النظام البرلماني المعاصر.

لقد كان تدخل البلاط لطريقة الاوتقراطية في العملية السياسية مدعاة لمشاكل سياسية بينه وبين الحكومة ودار الاعتماد . ولكن لم تمتعض جميع الحكومات العراقية من تدخلات فيصل في الإدارة ، سوى السعدون الذي ترأس أربع حكومات تحدث البلاط بخصوص النشاطات غير الدستورية للملك . وقد تهيأت للسعدون جملة عوامل أعانته في موقفه من الملك . فعلى العكس من بقية رؤساء الوزارات كان السعدون زعيماً لأقوى كتلة في البرلمان. حتى ١٩٣٠ هيمن حزب التقدم على البرلمان ولم يكن من الممكن تشكيل حكومة دون تأييده . فرؤساء وزراء أمثال الهاشمي والعسكري والسويديين ونوري السعيد كانوا إما ضعفاء أمام الملك أو من أنصاره أو المتعاونين معه .

ومع ذلك فان من أهم العوامل التي شدت من ساعد السعدون في موقفه هي علاقته بدار الاعتماد . فقبل ١٩٢٥ كانت دار الاعتماد قد وضعت مصاعب يتعذر تخطيها في طريق فيصل . وكان موقفه الدستوري ضعيفاً طالما ان البلاد لم تتمتع بعد بقانون أساسي. ولكن بعد حزيران ١٩٢٥ عندما انتقل العراق إلى نظام برلماني تغير موقف دار الاعتماد حيال تدخلات البلاط في الادارة . ويقف وراء التغير هذا جملة عوامل . أولاً لما كانت بريطانيا الدولة المنتدبة والمسؤولة أمام عصبة الأمم فان الحكومة البريطانية لن تجيز تخرصات العملية الدستورية .

ثانياً ، إذا تركت تدخلات فيصل في الإدارة دون قيد أو اعتراض فان ذلك سيضيف عنصراً جديداً من عدم الاستقرار والأزمات السياسية.

ثالثاً ، كان من الضروري مقاومة مناورات فيصل لوضع مجلس الوزراء تحت تأثيره المباشر بطرائق غير دستورية ، إذ أن ذلك سيؤول إلى نجاحه في تكوين جبهة واحدة تحت لوائه ضد دار الاعتماد .

لقد عطلت التطورات السياسية ومناورات فيصل جهود دار الاعتماد لإضعاف فيصل وللحفاظ على واجهة حكومة دستورية . ففي الواقع تمتع فيصل بنفوذ كبير في النظام ، فقد أجاز القانون الأساسي سلطات واسعة . وقد رأى فيصل انه دون إغفال روح القانون الأساسي فان البلاد يجب أن تحكم على هدى من الضرورة السياسية . ففي رسالة إلى المعتمد السامي أفصح فيصل عن فلسفته الدستورية في محاولة منه لتبرير أفعاله . فزعم أن بفضل تدخله المباشر في الوقت المناسب وبالأسلوب الموائم أضحى من الممكن الحفاظ على قابلية النظام على الأداء. وقد استنقص فيصل الأحزاب سياسياً على اعتبار أنها نتائج الأوضاع الراهنة. فهي بلا برامج كما أنها منقسمة بشدة . ومع أن الحكومات مسؤولة أمام البرلمان ، لكنها تتساقط بسبب الصراعات الداخلية والوهن الكامن .

وتحسباً لوقوع سقطات في النظام البرلماني العراقي ، اعتمدت بريطانيا جملة إجراءات وقائية . فقد حاججت الحكومة البريطانية بأن وجود الموظفين البريطانيين الذين رتبت علاقاتهم مع الحكومة العراقية وفقاً للملحق المختص بالموظفين أو وجود القوات البريطانية هما لصالح الطرفين . إذ سيؤمنان قابلية النظام على التنفيذ وظائفه وحماية المصالح الإمبراطورية البريطانية، وتمكين بريطانيا من الإيفاء بالتزاماتها الدولية . ومما لا ريب فيه أن النظام كان واهناً من ناحيتين . أولاً الضعف الذاتي وثانياً احتمال تعرضه لاضطرابات داخلية . فكان دور الموظفين البريطانيين تسهيل أداء النظام والحفاظ على وحدته الإدارية في وجه قوى التنافر . فهم أداة للربط ما بين نظام سياسي له جوهر غربي وبين مجتمع تقليدي غير مركزي . كما أنهم يشرفون على تنفيذ الانتداب كما نص عليه ميثاق عصبة الأمم أو المعاهدة وذلك بتقديم المشورة والإشراف إلى الحكومة العراقية في تصريف شؤون البلاد .

وكان دور القوات العسكرية مختلفاً . فكان الغرض منها خدمة العراق بالدفاع عنه ضد خطر محتمل . وقد برز الوجود العسكري البريطاني بضعف الجيش العراقي للقيام بمسؤولية حفظ الأمن الداخلي ودرء العدوان الخارجي في آن واحد .

ومع ذلك ، فإن وجود الموظفين الإداريين والقوات البريطانية كان مصدر صراع حاد وعدم استقرار داخل النظام . فقد شعر العراقيون بأن مثل هذا الوجود يمثل الاستعمار.

لماذا ناهض فهمي المدرس تقدم المرأة

■ مجيد اللامي

ان تعليمَ المراة لم يكن عملية سهلة في العراق فقد كان المجتمع جامداً متخلفاً شديد التعصب ضد كل جديد نافع ولهذا يحفل تاريخ تعليم المراة بكثير من الصور التي تمثل عثرات كأداء في سبيل تعليمها..

ومن الوقائع الغريبة التي روتها المرحومة صبيحة الشيخ داود في كتابها (اول الطريق) ذلك الموقف الذي وقفه المرحوم الاستاذ فهمي المدرس مع مديرة مدرسة البارودية للبنات سنة ١٩٢٤ اذ قالت: لقد شق التعليم النسوي طريقه يومذاك في بطء ظاهر وفي وجه مقاومة ضارية.

وتروي السيدة مديحة عقيلة المرحوم ابراهيم كمال والمعلمة في مدرسة البارودية عام ١٩٢٤ ان مشادة عنيفة وقعت بين شقيقتها السيدة معزز مديرة المدرسة والمرحوم الاستاذ فهمي المدرس المعروف بمناهضته لتقدم المرأة بسبب قيام مدرسة الرياضة باعطاء درسها لطالباتها على سطح المدرسة وكانت الطالبات يرتدين (تنانير) زرقاء اللون و(بلوزات) بيضاء.

وقد استوقفت هذه الحركة الاستاذ المدرس وكان يجاور المدرسة فأطل من داره واخذ يكيل الشتائم للمعلمة لانها تقوم بهذه التمارين على السطح وبشكل وصفه بانه مشين ولم يكتف بهذا بل بعث رسالة مسهبة الى وزارة المعارف التي تلقت قبل ذلك مذكرة من السيدة معزز وقررت ايفاد هيئة من مفتشيها توجهوا بعد دراسة الموضوع برجائهم اليها لتصرف النظر عن الحادثة قائلين:

إن موقفنا رغم وضوح حجتنا موقف ضعيف وموقف أولئك على ضعف براهينهم موقف القوي وان هدفنا الآن ان نقنع ابناء الشعب بفائدة التعليم ونتحمل في سبيل ذلك كل الصعوبات حتى نصل الى ما نريده..

ذاكرة
العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

من علي الغربي الى بغداد عام 1921

■ د . سلمان درويش

علي الغربي

ولدت عام ١٩١٠ في قضاء علي الغربي الواقع على نهر دجلة لواء العمارة-العراق وكان والدي رحمه الله((يعقوب رحمين درويش)) تاجر اقمشة بالجملة والمفرق وهو من اصل كردي من قلعة اربيل اما والدتي((تفاحة نسيم طويق)) فبغدادية وهي الزوجة الثانية لوالدي بعد وفاة الاولى((مسعودة قمر)) عن اربعة ابناء وبنتين.

وأكثرية سكان علي الغربي البالغ عددهم حوالي الثلاثين الاف نسمة من الشيعة انحدروا من(دسبول) في ايران ويليهم السنة، وهناك عدد من الاكراد جاءوا من جبل((حسين قلي خان))-بشكتوه- وهو امتداد لجبل حمرين الواقع على الحدود العراقية- الايرانية.

اما اليهود في علي الغربي فلم يتجاوز عددهم العشرين عائلة، ويبدو ان اليهود استقروا في المدن والقرى الجنوبية من العراق كالعمارة، وقلعة صالح، وعلي الغربي بعد سنة ١٨٧٠م.

والشيعة في علي الغربي كغيرهم من الشيعة محافظون متعصبون يعتبرون اليهود انجاساً، فيبتعدون عنهم ويتحاشون الاختلاط بهم وحتى لمسهم باليد، ولايسمحون لهم بالجلوس في المقاهي معهم مما اضطر اليهود الى فتح مقهى صغير خاص بهم على قلتهم.

وفي سنة ١٩١٨ وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى فتحت حكومة الاحتلال اول مدرسة في القضاء، وكان يطلب من اليهود الجلوس في مقاعد منفصلة في الصفوف، ويؤمرون بالخروج من الصف في دروس الدين والقرآن الكريم، وكانوا يلفونه بالقماش لمنع اليهود من رؤيته.

وكانت وزارة المعارف قد فتحت دورات خاصة في بغداد لتأهيل المعلمين الذين وزعوا على الاقضية والنواحي، وكان نصيب علي الغربي الكثير من خيرة المديرين والمعلمين، منهم الاديب احمد حامد الصراف، وعبد الستار فارس، ويونس الصافي وغيرهم من لا اتذكر اسماءهم.

ولتشجيع التلاميذ على الالتحاق بالمدرسة عينت مديرية المعارف((الملا عبد)) لتعليم الكتابة والقرآن لابناء القضاء المسلمين، كما عينت المعلم اليهودي((ابو لحية)) الذي وصفه اخي شالوم في كتابه((بيضة الديك)) ص ٤٥-٤٦ ليعلم الابناء اليهود قراءة التوراة واصول الدين. واستمرت الحكومة على دفع رواتبهما عدة سنين اسكاتاً لمعارضة قد يثيرها احد المتعصبين ضد المدرسة والمواضيع التي تدرس فيها.

وبين الاوائل الذين اتموا دراستهم الابتدائية او القسم منها في علي الغربي الطيار ناصر حسين الجنابي، ومدير المعارف عبد الوهاب الركابي، والثري المرحوم ماير عبد الله، والقاص شقيقي شالوم. وقد درست انا ايضاً في مدرسة علي الغربي ثلاث سنوات. واهالي علي الغربي وما جاورها من رجال العشائر عرفوا بالاخلاص للوطن والشجاعة وخوض المعارض والقتال. ومن اهازيجهم التي وصلتني اخيراً:-

يا علي الغربي والكمر يربي
والتفك يثور والفشك يدري!

عائلتي

كان والدي قد توفاه الله وانا في العاشرة من العمر وقد ادركت مما سمعته عنه من والدتي واخوتي انه كان من المحافظين الذين يؤمنون بأن القديم يجب ان يبقى على قدمه، بعكس والدتي البغدادية التي كانت تتردد على العاصمة كلما سنحت لها الفرصة لزيارة اخت لها وثلاث اخوة وتتحدث عند عودتها عما استجد في بغداد وتجلب معها ما يمكن شراؤه رغم معارضة والدي المبدئية، وعبثاً حاولت حمله على ترك علي الغربي والنزوح الى بغداد، ولم يتم لها ذلك الا بعد وفاته وانقضاء سنة الحداد عليه..

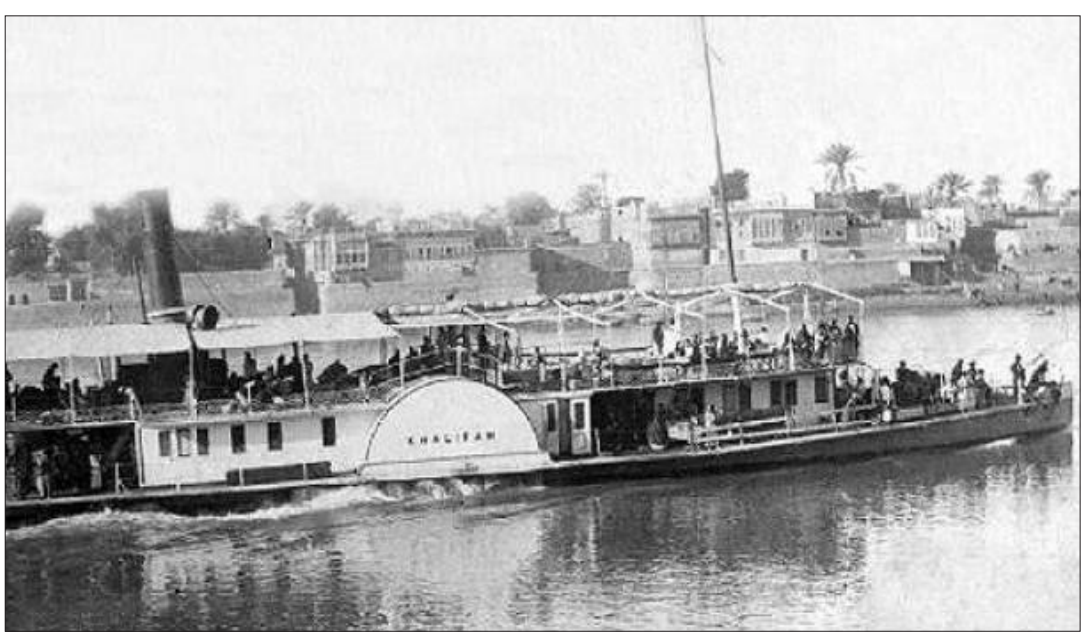

العدد 3097/
السنة الحادية عشرة
الاثنين (9) حزيران 2014

نوري السعيد ومقتل رستم حيدر؟

■ ازهر الناصري

وكان والدي رجلاً تقياً ورعاً نال اسماً طيبا وسمعة حسنة في معاملاته التجارية مع مسلمي ويهود القضاء، كما عرف بسخائه وحسن ضيافته للذين لجأوا الى علي الغربي من اليهود خلال الحرب العالمية الاولى.

واسجل هنا حادثة سمعتها عنه: فعندما كان هؤلاء اليهود الفارون من الخدمة في الجيش العثماني وقد دعوا بالافرار يصلون الى علي الغربي عن طريق جبل قلي خان، كان والدي يستضيفهم في دارنا لعدم وجود فندق في القضاء، وغالباً ماكانوا يقضون أياماً معدودة ثم يغادرون الى بغداد في اول فرصة سانحة. واتفق مرة ان عدداً منهم لم يستطع مغادرة علي الغربي على عجل لاسباب أمنية، لذا فقد تقدموا الى والدي ورجوه قبول اجرة مناسبة لقاء السكن والغذاء وغسل ملابسهم وتوعدوه اذا ما رفض طلبهم بمغادرة علي الغربي وبالرغم من مخاطر قد تؤدي بهم الى الهلاك. وقبل والدي العرض بعد تردد وشرعوا بدورهم يقدمون المطالب اليومية للحصول على ما يريدونه من مأكل وملبس، حتى اذا ما خلال لهم الجو واصبح من المستطاع العودة الى بغداد، وضع والدي في حقيبة كل واحد منهم صرة النقود التي دفعها له، وكان قد احتفظ بها على انفراد، وكان من الواضح انه قد تظاهر بقبول ما دفعوه له كي لا يخجلوا من طلب ما يريدون وما يحتاجون اليه من خدمات بحرية تامة وبدون تردد.

اما المرحومة والدتي فقد كانت تتردد على بغداد دوماً وتطلع على ما يستجد فيها في شتى المجالات، واما نساء القضاء، مسلمان كن ام يهوديات، فكن يستشرنها في كثير من امورهن الاجتماعية والصحية. وسأقتصر هنا على ذكر حادثتين فقط كمثل لما كانت عليه من حصافة الرأي وحسن التصرف:-

فعند الطفولة كنت واخواتي واخي شالوم نجتمع كل صباح حول موقد يعمل بحرق الاخشاب للتدفئة في الشتاء القارس، ولاعداد شاي الافطار.

وفي صباح احد الايام مست اختي خشبة الموقد بلا تعمد فانسكب الماء المغلي على ذراعي الايمن وسبب لي حرقاً كبيراً عالجه الطبيب الانكليزي المتنقل، الذي كان يزور علي الغربي بين حين وآخر، خلال مدة جاوزت الشهرين حتى اذا ما شفي الجرح خلف عطلاً في مفصل المرفق ادى الى عدم استطاعتي فتحه اكثر من زاوية قدرها حوالي الخمسين درجة بدلاً من الـ ١٨٠ درجة الاعتيادية.

وقرر الطبب الزائر ان يجري لي عملية جراحية لفتح مفصل المرفق المحدود الحركة ووعد بتنفيذ ذلك لدى زيارته القضاء بعد اسابيع قليلة..

كنت في سن السابعة حينذاك وقد عانيت آلاماً شديدة حتى شفي الحرق فأخذني الخوف لدى سماعي عن العملية الجراحية فغافلت من في الدار وكانت تقع على ضفة نهر دجلة وأردت القاء نفسي في النهر والتخلص من آلام لابد وان تسببها العملية الجراحية المقترحة فأدركوني واعادوني من الساحل بعد ان تعهدوا لي بعدم اللجوء الى الجراحة ابداً.

وهنا طر لوالدتي ان تلتجيء الى العلاج الطبيعي وأخذت تأمرني برفع الاثقال بيدي اليمنى ووزيادتها يومياً مع التدليك ووضع الكمادات الحارة ومحاولة فتح المرفق اكثر فأكثر يومياً. وبان التحسن واستمر العلاج دون هوادة حتى عادت حركة المرفق الطبيعية بعد مدة قاربت الشهر..

وجاء الجراح الانكليزي مع سكاكينه ومقاصيصه وادويته حسب وعده وناداني لفحص الذراع للمرة الاخيرة قبل اجراء العملية الجراحية وتظاهرت بالخوف والصياح وبدأ في فتح المرفق بكل عناية وحذر وحينذاك فاجأته بفتح المفصل كاملاً فدهش لما رأى، وشكر والدتي لما قامت به وهو يتلعثم خجلاً والتمس طلب حضورها عندما كان يقوم بفحص نساء القضاء او كان يرجوها فحص من كن يرفضن السماح له بفحصهن داخلياً، فتعود وتصف له بكل دقة ما تعثر عليه من ظواهر غير طبيعية وبعئذ يصف العلاج.

اما الحادثة الثانية فهمي ان احد الاقارب اشترى من المزايدات في دائرة الكمرك في بغداد صندوقاً يحتوي على اوراق القمار بصورة منفرطة وغير معبأة في علبها الخاصة بها فجاء بالصندوق الى دارنا وكانت قريبة من مخزنه ورجانا مساعدته لصف الاوراق واعادتها للعلب بصورة مضبوطة. وبعد اتمام العملية التي استغرقت النهار كلهقالت له والدته وكانت بين الحاضرين: عسى ان يسهل الباري فتبيع بضاعتك بسرعة. وسمعت والدتي دعاءها فقالت لها معاتبة:-

لقد تخرج ولدي سلمان طبيباً فدعوت له بالنجاح في التخفيف عن آلام العباد وسرعة شفاءهم، ولم يخطر ببالي ان ابتهل الى الله تعالى لزيادة رزقه والثراء من مهنته لأنني اعلم علم اليقين ان ازدياد رزقه معناه كثرة المرضى وازدياد آلام الناس، وانت تريدين ان يسهل الله على ولدك فيبيع اوراق القمار بسرعة، ولكن هل قدرت عدد البيوت التي قد تخرب بسبب لعب القمار؟

في بغداد سنة ١٩٢١

وصلنا بغداد في مركب من المراكب التي كانت تسيرها شركة بيت اللنج في نهر دجلة واستغرقت السفرة اسبوعاً كاملاً وسجل اخي شالوم هجرتنا هذه في قصته ((قافلة من الريف)) وكنا نعاني من ضائقة مالية خانقة بعد ان سرق مخزن البضاعة العائد الى والدي في علي الغربي، ثم السطو على الدار وسرقة ما فيها من نقود ومصاغات وحلي ذهبية وأدوات فضية وهي كل ما ادخرته والدتي.

والتحقت مع شالوم اخي صباح اليوم الثاني لوصولنا بغداد بمدرسة دينية هي((مدراش تلمود تورا)) وهي اكبر واقدم مدرسة يهودية افتتحت في بغداد سنة ١٨٣٢ بقينا فيها سنتين، ثم انتقل بعدها شالوم الى المدرسة الوطنية، وانتقلت انا الى مدرسة راحيل سحمون. وفي السنة الدراسية ١٩٢٤-١٩٢٥ الزمت وزارة المعارف جميع المدارس الاهلية تطبيق المناهج الدراسية الحكومية والاشتراك في الامتحانات الرسمية العامة. وفي سنة ١٩٢٥-١٩٢٦ الدراسية نلت الاولية على جميع تلامذة العراق واقامت مدرسة راحيل شحمون حفلة خاصة بهذه المناسبة دعي اليها المرحوم عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء، ومحمود الطبقجلي متصرف بغداد وعدداً من كبار موظفي المعارف ومن الشخصيات اليهودية المعروفة في مقدمتهم المرحوم مناحيم صالح دانيا، وقد لي رئيس الوزراء ساعة يد ذهبية ثمينة ما زلت احتفظ بها... وسنة ١٩٢٦-١٩٢٧ الدراسية نال تلميذ يهودي آخر من الحلة هو سلمان منشي الاولية على جميع تلامذة العراق ايضاً وكلانا درس الطب بعدئذ، وانتقل الدكتور سلمان منشي الى رحمته تعالى في حادثة سيارة في اسرائيل سنة ١٩٧٠.

عن كتاب (كل شيء هادىء في العيادة)

نوري السعيد

رستم حيدر

هناك قولٌ مأثور للمناضل الانساني المهاتماغاندي كل سمكتين تخاصمتا في البحر قل هذا من صنع الانكليز، كذلك كان في العراق ايام الحكم الملكي لا يسلم نوري السعيد من الاتهام في مقتل السياسيين مثل مقتل بكر صدقي او مقتل الملك غازي وكان احدهم رستم حيدر: رستم حيدر شاب عربي من مدينة بعلبك بلبنان ومن اسرة كريمة معروفة وقد تثقف ثقافة عصرية

اذ درس في باريس والتحق بالثورة العربية الكبرى في اواخر ايامها فاتخذه الملك فيصل كاتما لاسراره اولا في اموره حتى تاريخ وفاته وقيل انه (دماغ فيصل المفكر) كما كان قوميا عربيا مستقيما، ذكر ناجي شوكت في مذكراته في يوم لا اتذكره بالضبط اقام السيد حمدي الباجة جي مأدبة عشاء حضرها لفيف من الاعيان والنواب والوزراء وكان بين المدعوين نوري السعيد ورستم حيدر سمعت اصواتا مزعجة وضوضاء في الغرفة المجاورة للغرفة التي كنت فيها ولما كنت ضعيف السمع سألت من كان بجانبي عن مصدر الاصوات؟ فرد عليه ان صبيحا كان ثملا وصار يتحدى رستم حيدر بقوله له (لماذا لاتذهب الى بلادك؟ انت (الكذا والكذا) وبعد شتم وتقريع تدخل البعض وتفرق المدعوون. ويذكر ناجي شوكت ولما سمعت باطلاق الرصاص على رستم وهو مكتبه بديوان وزارة المالية يوم ١٨ كانون الثاني ١٩٤٠ تذكرت الشجار الذي حصل في دار حمدي الباججي وكان مطلق الرصاص كان مفوضا للشرطة يدعى حسين فوزي وقد فصل من الخدمة لاسباب لا علاقة لرستم بها. وبينما كان التحقيق مستمرا على هذا النحو لان القاتل معروف بالجرم المشهود، اذا بنوري السعيد يختلي بالقاتل في مركز الشرطة، ثم امر بالقبض على جماعة بينهم ابراهيم كامل وعارف قفطان وصبيح نجيب وشفيق توري السعيدي، فاختلف الوزراء فيما بينهم وادى الخلاف الى استقالة الوزارة، وتقرر ان تؤلف الوزارة الجديدة برئاسة نوري السعيد ايضا ، فقد اصر كل من رئيس اركان الجيش حسين فوزي وامير اللواء امين العمري ألا يدخل الوزارة نوري السعيد. فاستطاع نوري السعيد ان يستصدر ارادة ملكية باحالة كل من الفريق حسين فوزي واللواء امين العمري والعقيد عزيز ياملكي على التقاعد، وقد ألف الوزارة الجديدة اشترك معه طه الهاشمي في المسؤولية ثم احال قاتل رستم حيدر على المحاكمة ونفذ فيه حكم الاعدام. ولقد قيل الكثير في موضوع مقتل رستم، قيل ان نوري السعيد بعد ان قضى على خصومه السياسيين الواحد بعد الاخر بالقتل والسجن والابعاد عن المناصب الوزارية. ولم يبق من ينافسه على الزعامة.

وبعد ذلك اجتمع في ديوان رشيد عالي في البلاط الملكي، فقد اجتمع رؤساء الوزراء السابقون على مقابلة الوصي، وتقديم احتجاج على تصرفات نوري السعيد وتدخله في التحقيقات الجارية في مقتل رستم والمحاكمات بحق المتهمين وبينما كان المجتمعون في غرفة رئيس الديوان اقبل نوري السعيد غاضبا متهيجا، وقد وجه خطابه الى جميل المدفعي وقال له بشدة وانت ايضا هنا؟ من انت لتحتج عليّ؟ لو لم اكن انا لما كنت الا متصرفا لما كنت.

فلم ينبس جميل ببنت شفة، وانما ترك الديوان وذهب.

اوراق قديمة

هكذا لحنت اغنية (يا حلو كلي شبدلك)

يروي الشاعر اسماعيل الخطيب هذه الحكاية عن الفنانة مائدة نزهت .

من المصادفات الحلوة التي أدت الى ميلاد أغنية جديدة أن حدث ذات مرة وبعد مرور شهر تقريباً على بث أغنية مائدة نزهت الجديدة الأولى في حياتها الفنية من إذاعة بغداد التي كتبها ولحنها أحمد الخليل سنة ١٩٥٤ التي كان مطلعها (يللي تريدون الهوه صبروا على أحو) .

أن التقينا أثناء خروجنا أنا والفنان احمد الخليل من دار الإذاعة في الصالحية ببغداد. وفي الممر الأمامي لها التقينا بالفنانة المصرية المعروفة(نرجس شوقي) وهي داخلة الى الإذاعة لتقديم حفلتها الاسبوعية التي كانت تبث على الهواء مباشرة.

وبعد تبادل عبارات التحية المعتادة بيننا، قالت نرجس لأحمد ليش يا احمد إشبدلك .. ما كنت حلو معايا .. مين الست مائدة دي حتى تاخذك منا.. يظهر أن الوقت هذه الأيام للشابات الصغيرات وليس للعواجيز أمثالنا أنا وعفيفة .. فقال أحمد الخليل على الفور أستغفر الله يا ست مين اللي تقدر توصل مكانتك وفنك بالمناسبة أنا محضر لك أغنية جديدة حلوة كنت سأخبرك عنها ولكنك سبقتيني .

فارتاحت نرجس لهذه الإجابة وقالت ما دام كده.. أنا مستنياكم بكره .. بس أيه هو الكلام . فقال أحمد إسألي الأستاذ اسماعيل أهو أمامك يخبرك.. فقلت لها: سيعجبك إن شاء الله إطمئني

وافترقنا..

وفي الطريق سألت أحمد عن الموضوع فقال ضاحكاً لم أجد طريقة أخرى للتخلص من الموقف غير هذه الكذبة فقلت له يا حلو كلي اشبدلك روحي أضحيها الك . فأمسك أحمد بيدي وقال فرحاً هذه هي الأغنية وأخرج علبة سكائر وسجل هذا الكلام عليها وقال أريد منك بقية كلام الأغنية. ولما تلاقينا في اليوم التالي سلمتهُ الأغنية وكانت كما يلي:

يا حلو كلي اشبدلك . كلي دكلي؟
روحي أضحيها الك . كلي دكلي؟
كلما ردت.. كلما طلبت
ضحيته لأجلك بس إلك
يا حلو كلي اشبدلك . كلي دكلي؟

إلى آخر كلمات الاغنية التي لحنها أحمد الخليل خلال ذلك الاسبوع وكانت من مقام الاوشار وهو من المقامات القوية الفرحة وقد أبدعت نرجس في أدائها جداً وحققت الأغنية نجاحاً منقطع النظير وانتشرت في حينها بسرعة بحيث أصبح الناس يرددونها في أفراحهم ومناسباتهم سنوات عديدة حتى أن الفنان روحي الخماش رحمه الله سجلها مع فرقة معهد الفنون الجميلة التلفزيون بعد أكثر من خمس وعشرين سنة على أنها من الأغاني العراقية التراثية القديمة دون الإشارة الى مؤلفها اسماعيل ابراهيم الخطيب أو ملحنها المرحوم أحمد الخليل ..

مائدة نزهت والمقام العراقي

كان التقليد المهيب في الغناء المقامي يمنع ان يؤدى مقاماً معيناً الا وقد انطلق من التقليد التام .. واول واهم مراكز التقليد هي ان تكون القصيدة المغناة ذاتها التي سبق ان غناها احد المغنين المشاهير وفي نفس المقام المعين . فمقام الحويزاوي الذي غناه المغني التاريخي محمد القبنجي ، وبما لهذا المغني الكبير من سطوة هائلة على الجماهير فقد كان مقامه الحويزاوي له سطوه اخرى على مسامع واذواق المغنين والجماهير منذ ان سجله اذاعيا عام ١٩٥٦ واعاد غنائه عام ١٩٦٤ في مؤتمر ومهرجان الموسيقى العربية الثاني الذي انعقد في بغداد ، وهذه المرة سجل تلفزيونياً بحيث لم يجرأ اي من المغنين الاخرين ان يغنوا مقام الحويزاوي بعد هذا التاريخ الا بنفس القصيدة و نفس الاداء الذي اداه استاذنا محمد القبنجي، والقصيدة مأخوذة من كتاب الف ليلة و ليلة. ففي هذا المقام كمقاماته الاخرى كان القبنجي كطائر تاريخي من العصور القديمة يبسط جناحيه الهائلين صوب المشرق و المغرب ، والكل تحت خيمته.. فمن يجرؤ على مجرد طرح رأي ولو كان بسيطاً ...

غنى القبنجي مقام الحويزاوي ، فغزى القلوب والافكار والهب المشاعر في قصيدة لو كان قائلها حي يرزق لقدم الولاء والشكر والعرفان لهذا الفنان لانه خلدها بالفعل ، اذ نفض غبار الزمن عنها واظهر بريقها الوهاج .

اما تجربة المطربة مائدة نزهت ، حيث غنت هي الاخرى مقام الحويزاوي باسلوب فني مغاير تماماً لاسلوب مطرب الاجيال محمد القبنجي و مغاير ايضاً لاسلوب فنان القرن العشرين ناظم الغزالي، ولم يكن ذلك لمرة واحدة بل كررت ذلك مرتين و بقصيدتين جديدتين مختلفتين ففي المرة الاولى غنت الفنانة مائدة نزهت مقام الحويزاوي بقصيدة عبد المجيد الملا

يا من هواه اعزه و أذلني كيف السبيل الى وصالك دلني
واصلتني حتى ملكت حشاشتي ورجعت من بعد الوصال هجرتني

وفي المرة الثانية اثبتت الفنانة مائدة نزهت امكانياتها الابداعية وغنته بقصيدة الشاعر المخضرم حافظ جميل بأجمل ما يمكن ان يكون.

وا عظم بلواك من هم تعانيه ومن جوى ألم في النفس تخفيه
لله أهتك الحرى اذا انبعثت عن لاعج في سواد الليل تذكيه

عن مجلة فنون ١٩٨٢

ذاكرة
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

نائب رئيس التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون